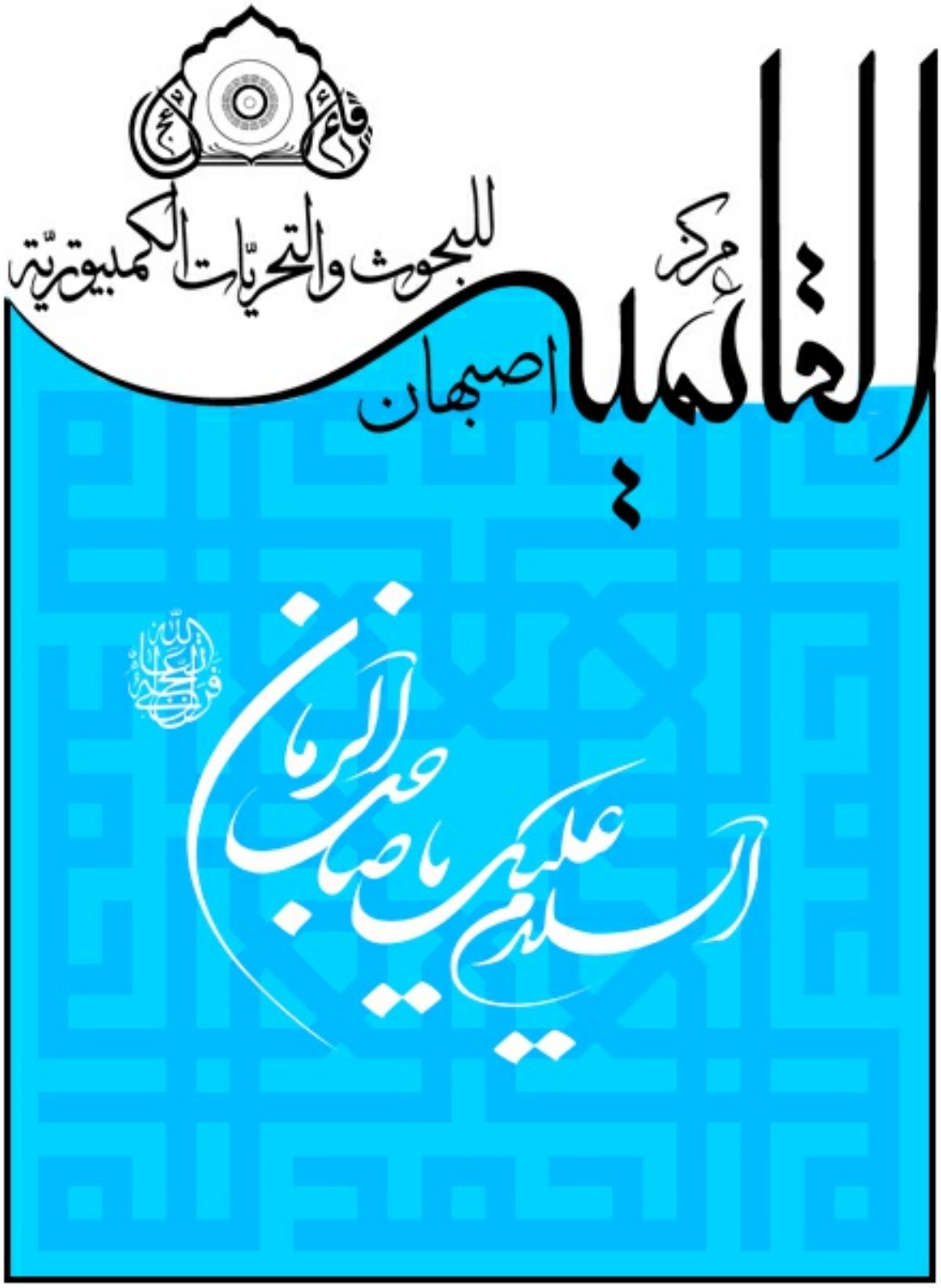

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

سلسلة المسائل الفقهية

٢٣

التقيّة

مفهومها، حدّها، دليلها

تأليف
الفقيه المحقّق
جعفر السبحاني

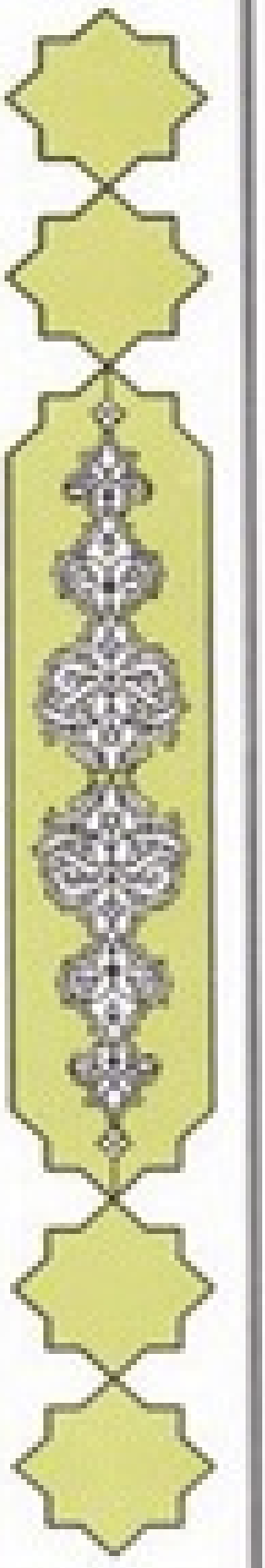

بسم الله الرحمن الرحیم

سلسله المسائل الفقهيه

كاتب:

آيت الله العظمى جعفر سبحانى

نشرت فى الطباعة:

موسسه الامام الصادق (عليه السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵

سلسله المسائل الفقهیه التقیّه مفهومها، حدّها، دلیلها المجلد ۲۳ ----- ۶

اشاره ----- ۶

التقیّه مفهومها، حدّها، دلیلها ----- ۶

مقدمه ----- ۱۰

و تحقیق المسأله یتم ببیان أُمور: ----- ۱۶

۱ التقیه لغه ----- ۱۶

۲ التقیه اصطلاحاً ----- ۱۸

۳ التقیه تاریخیّاً ----- ۲۰

۴ محنه الشیعه فی عصر الأمویین و العباسیین ----- ۲۹

۵ الغایه من تشریع التقیه ----- ۴۹

۶ التقیه فی الکتاب العزیز ----- ۵۴

۷ التقیّه فی السنّه النبویّه ----- ۶۵

۸ أقسام التقیه ----- ۷۲

۹ شبهات حول التقیه ----- ۷۸

۱۰ الآثار البنّاءه للتقیه ----- ۹۱

تعریف مرکز ----- ۹۷

سلسله المسائل الفقهیه التقیّه مفهومها، حدّها، دلیلها المجلد ۲۳

اشاره

سرشناسه:سبحانی تبریزی، جعفر، ۱۳۰۸ -

عنوان و نام پدیدآور:سلسله المسائل الفقهیه / تالیف جعفر السبحانی.

مشخصات نشر:قم: موسسه الامام صادق (ع)، ۱۴۳۰ق.= ۱۳۸۸.

مشخصات ظاهری:۲۶ ج

فروست:سلسله المسائل الفقهیه؛ ۱.

یادداشت:عربی.

یادداشت:چاپ دوم.

یادداشت:کتابنامه به صورت زیرنویس.

موضوع:احکام فقهی

موضوع:فقه تطبیقی

شناسه افزوده:موسسه امام صادق (ع)

ص: ۱

التقیّه مفهومها، حدّها، دلیلها

[۲۳. التقیّه مفهومها، حدّها، دلیلها]

مقدمه

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ

الحمد للّه ربّ العالمین، و الصلاه و السلام علی أفضل خلقه و خاتم رسله محمّد و علی آله الطیّبین الطاهرین الذین هم عیبه علمه و حفظه سننه.

أمّا بعد، فانّ الإسلام عقیده و شریعه، فالعقیده هی الإیمان باللّه و رسله و الیوم الآخر، و الشریعه هی الأحکام الإلهیه التی تکفل للبشریه الحیاه الفضلی و تحقّق لها السعاده الدنیویه و الأُخرویه.

و قد امتازت الشریعه الإسلامیه بالشمول، و وضع الحلول لکافّه المشاکل التی تعتری الإنسان فی جمیع جوانب الحیاه قال سبحانه: (اَلْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَ رَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِیناً).(۱)

۱- المائده: ۳.

غیر أنّ هناک مسائل فرعیه اختلف فیها الفقهاء لاختلافهم فیما أثر عن مبلّغ الرساله النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله و سلم)، الأمر الّذی أدّی إلی اختلاف کلمتهم فیها، و بما أنّ الحقیقه بنت البحث فقد حاولنا فی هذه الدراسات المتسلسله أن نطرحها علی طاوله البحث، عسی أن تکون وسیله لتوحید الکلمه و تقریب الخطی فی هذا الحقل، فالخلاف فیها لیس خلافاً فی جوهر الدین و أُصوله حتّی یستوجب العداء و البغضاء، و إنّما هو خلاف فیما روی عنه (صلی الله علیه و آله و سلم)، و هو أمر یسیر فی مقابل المسائل الکثیره المتّفق علیها بین المذاهب الإسلامیه.

و رائدنا فی هذا السبیل قوله سبحانه: (وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِیعاً وَ لا تَفَرَّقُوا وَ اذْکُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَیْکُمْ إِذْ کُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَیْنَ قُلُوبِکُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً).(۱)

۱- آل عمران: ۱۰۳.

التقیّه من المفاهیم الإسلامیه الساميه تُعدّ التقیه من المفاهیم الإسلامیه الأصیله، المنسجمه مع حکم العقل، و روح الإسلام، و مرونه الشریعه المقدسه و سماحتها، و ضرورات العمل الإسلامی، و قد وردت فی القرآن الکریم، و أکّدتها السنه الشریفه، و آمن بمشروعیتها علماء المسلمین.

و لا ریب فی أنّ الشیعه و بحکم الظروف العصیبه التی حاقت بهم علی امتداد فترات تاریخیه طویله اشتهروا بالعمل بالتقیه، و اللّیاذ بظلها کلما اشتدت علیهم وطأه القهر و الظلم.

و قد سعی الصائدون فی الماء العکر من حُکّام الجور و المغرضین و المتعصّبین إلی استغلال هذا الأمر، و ذرّ الرماد فی العیون من خلال إیجاد تصوّرات و أوهام باطله، و غرسها فی أذهان

الناس، بـدعوى أنّ التقيه عنـد الشـيعه ضـرب من النفاق و الخداع و التمويه، و أنّها تجعل منهم منظّمه سـريه غايتها الالتفاف على الإسلام و تشويه صورته و تهديم أركانه.

إنّ العمل بالتقيه و الاحتراز عن الإفصاح عن المبادئ و الأفكار لا يعنيان أبـداً أنّ للشـيعه أسـراراً و طلاسم يتـداولونها بينهم، و لا يتيحون للآـخرين فرصه الاطلاـع عليها و معرفتها، و لا يعنيان أيضاً أنّ لهم نوايا عـدوانيه ضـدّ الإسـلام و أهله، و إنّما يتعلّق الأمر كلّه بإرهـاب فكرى و سياسـى مُورس ضـدهم، و جرائم وحشـيه ارتكبت بحقهم، ألجـأتهم إلى اتخـاذ التكتّم و الاـحتراز أسـلوباً لصيانه النفوس و الأعراض و المحافظه عليها. و نحن إذا نظرنا إليهم فى بعض العهود التى استطاعوا أن يتنفسوا فيها نسائم الحريه، نجـد كيف أنّهم بـادروا و بنشـاط إلى نشـر أفكـارهم و آرائهم و بثّ مبـادئهم و تعاليمهم، و كيف أنّهم ساهموا مع إخوانهم من سائر المذاهب و الطوائف فى صنع حضاره الإسلام الخالده.

و إذا كان الانصاف يدعو إلى تبرير موقف ضحايا القمع و الاستبداد بالالتجاء إلى حمى التقيه لضمان السلامه و التوقّى من

الشر المستطير... و إذا كان الضمير الحى يدعو إلى مواساه هؤلاء المظلومين الذين تُحصى عليهم أنفاسهم و يعانون أفانين الضغط و الإكراه، و أشكال التضييق و المحاربه، فإنّ شيئاً من هذا و لا ذاك لم يحصل، بل حصل العكس، إذ عمد الكثير من أهل السنّه و الجماعه و مع الأسف إلى الإغضاء عن الجزّارين أو معاضدتهم، و إلى التنديد بالضحايا و التشهير بهم!! و أخيراً، نحن نعتقد أنّ العمل بالتقيه أمر لا مفرّ منه، و أنّ مجانبتها تماماً و فى كلّ الأحوال و العصور أمر لا واقع و لا حقيقه له. و أنت إذا رميت ببصرك إلى بعض الشعوب التى تحكمها أنظمه قمعيه استبداديه، لوجدت أنّها و فيها من هم من أهل السنّه تتجنّب الإعلان عن آرائها و أهدافها جهرهً، و تسكت عمّا يُمارس بين ظهرانيها من أعمال منافيه للإسلام، و ما ذلك إلّا خوفاً من البطش و القتل و الأذى الذى سيصيبها لو أنّها نطقت بما يخالف إراده المستبدين.

و هذه الرساله المتواضعه، ستميط الستر عن وجه الحقيقه و تثبت، انّ التقيه ثمره البيئه التى صودرت فيها الحريات، و لو كان

هناک لومٌ و انتقاد، فالأجدر أن نتوجه بهما إلی من حمل المستضعفین علی التقیه، لا أنفسهم.

و ستتضح للقارئ فی غضون هذه الرساله، انّ التقیّه من المفاهیم القرآنیه التی وردت فی أکثر من موضع فی القرآن الکریم، و فی تلک الآیات إشارات واضحه إلی الموارد التی یلجأ فیها المؤمن إلی استخدام هذا المسلک الشرعی خلال حیاته أثناء الظروف العصیبه، لیصون بها نفسه و عرضه و ماله، أو نفسَ من یمتُّ إلیه بصله و عرضَه و مالَه، کما استعملها مؤمن آل فرعون لصیانه الکلیم عن القتل و التنکیل(۱) و لاذ بها عمّار عند ما أُخذ و أُسِر و هُدِّد بالقتل(۲) ، إلی غیر ذلک من الموارد الوارده فی الکتاب و السنّه، فمن المحتّم علینا أن نتعرّف علیها، مفهوماً (لغه و اصطلاحاً)، و تاریخاً و غایهً و دلیلاً و حدّاً، حتی نتجنَّب الافراط و التفریط فی مقام القضاء و التطبیق.

و تحقیق المسأله یتم ببیان أُمور:۶.

۱- . القصص: ۲۰.

۲- . النحل: ۱۰۶.

و تحقیق المسأله یتم ببیان أُمور:

۱ التقیه لغه

التقیه اسم مصدر ل «اتقی یتقی» و أصل اتقی: اوتقی فقلبت الواو یاءً للکسره قبلها، ثمّ أُبدلت تاءً و ادغمت و قد تکرر ذکر الاتقاء فی الحدیث و منه حدیث علی: «کنّا إذا احمرّ البأس اتقینا برسول اللّه»، أی جعلناه وقایه لنا من العدو.(۱)

و قد أخذ «اتقی» من وقی الشیء، یقیه إذا صانه، قال اللّه تعالی: (فَوَقاهُ اللّهُ سَیِّئاتِ ما مَکَرُوا) (۲) أی حماه منهم فلم یضرّه مکرهم.

و ربما تستعمل مکان التقیه لفظه «التُّقاه» قال سبحانه: (لا یَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْکافِرِینَ أَوْلِیاءَ مِنْ دُونِ

۱- . النهایه: ماده وقی.

۲- . غافر: ۴۵.

اَلْمُؤْمِنِینَ وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ فَلَیْسَ مِنَ اللّهِ فِی شَیْءٍ إِلاّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاهً).(۱)

قرأ الأکثر «تقاه» إلاّ یعقوب فقرأ «تقیّه» و کلاهما مصدر لفعل اتقی «فتقاه، أصله «وقیه» أبدلت الواو تاءً کما أبدلوها فی تُجاه و تکاه و انقلبت الیاء الفاً لتحرکها و انفتاح ما قبلها، و هو مصدر علی وزن فُعل کتؤده و تخمه.(۲)۳.

ص: ۱۲

۱- . آل عمران: ۲۸.

۲- . عن تعلیق أحمد محمد شاکر علی دائره المعارف الإسلامیه: ۵/۴۲۳.

۲ التقیه اصطلاحاً

التقیه کما عرّفها السرخسی هی أن یقی الإنسان نفسه بما یظهره و إن کان ما یضمر خلافه.(۱)

و قال ابن حجر: التقیه: الحذر من إظهار ما فی النفس من معتقد و غیره للغیر.(۲)

و عرفها صاحب المنار بأنّها ما یقال أو یفعل مخالفاً للحقّ لأجل توقّی الضرر.(۳)

و عرفها الشیخ محمد أبو زهره بأنّها أن یخفی الشخص ما یعتقد دفعاً للأذی.(۴)

۱- . المبسوط للسرخسی: ۲۵/۴۵.

۲- . فتح الباری: ۱۲/۳۱۴، ط المکتبه السلفیه.

۳- . تفسیر المنار: ۳/۲۸۰.

۴- . محمد أبو زهره: الإمام الصادق: ۲۵۵.

و التعریف الثالث أشمل من الرابع لاختصاص الأخیر بالعقیده و عمومیه الآخر لها و للفعل.

و أمّا الشیعه فقد عرّفها الشیخ المفید بقوله: التقیه کتمان الحقّ و ستر الاعتقاد فیه، و مکاتمه المخالفین و ترک مظاهرتهم بما یعقب ضرراً فی الدین أو الدنیا.

و فُرض ذلک، إذا علم بالضروره أو قوی فی الظن، فمتی لم یعلم ضرراً بإظهار الحقّ و لا قوی فی الظن ذلک لم یجب فرض التقیه.(۱)

و عرفها الشیخ الأنصاری بقوله: التحفّظ عن ضرر الغیر بموافقته فی قول أو فعل مخالف للحقّ.(۲)۷.

۱- . شرح عقائد الصدوق: ۶۶، ط تبریز.

۲- . رساله التقیه للشیخ الأنصاری: ۳۷.

۳ التقيه تاريخيّاً

ربما يتصوّر لأول وهله انّ للتقيه مبدأً تاريخياً ظهر فى المجتمع الإنسانى، و لكن هذا التصور يجانب الحقّ، فظاهرهُ التقيه زامنت وجود الإنسان على هذا الكوكب يوم برز بين البشر القويّ و الضعيف، و صادر الأوّل حريات الثانى و لم يسمح له بإبداء ما يضمره عن طريق القول و الفعل.

فظهور التقيه فى المجتمع البشرى إذن، كان تعبيراً عن مصادره الحريات، و سلاحاً لم يجد الضعيف بدّاً من اللجوء إليه للدفاع عن نفسه و عرضه و ماله.

۱. التقيّه فى عصر الكليم

و أظهر مورد تبنّاه القرآن الكريم فى هذا الصدد هو

مؤمن آل فرعون، يقول اللّه تعالى:

(وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّهُ وَ قَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَ إِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذّابٌ).(۱)

و كانت عاقبه أمره أن (فَوَقاهُ اللّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا وَ حاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ).(۲)

و ما كان ذلك إلاّ لأنّه بتعميته، استطاع أن ينجّي نبيَّ اللّه من القتل كما يحكيه سبحانه عنه و يقول: (قالَ يا مُوسى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النّاصِحِينَ).(۳)

نقل الثعلبي عن السدي و مقاتل انّ مؤمن آل فرعون كان ابن عم فرعون و هو الذي أخبر اللّه تعالى عنه فقال: (وَ جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعى).(۴)۰

۱- . غافر: ۲۸.

۲- . غافر: ۴۵.

۳- . القصص: ۲۰.

۴- . القصص: ۲۰.

و قال آخرون: كان إسرائيلياً، و مجاز الآيه: «و قال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعونْ، و اختلفوا أيضاً فى اسمه.

فقال ابن عباس و أكثر العلماء: اسمه حزبيل.

و قال وهب بن منبه: اسمه حزيقال.

و قال ابن إسحاق: خبر ل.(۱)

۲. التقيه فى عصر الرسول

هناك حوادث تاريخيه تدلّ على شرعيه التقيه فى عصر الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) نكتفى بهذين النموذجين:

۱. يقول سبحانه: (مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ).(۲)

قال المفسرون: قد نزلت الآيه فى جماعه أُكْرِهُوا على الكفر، و هم عمّار و أبوه ياسر و أُمّه سُمَيّه، و قُتل الأبوان لأنّهما لم يُظهرا الكفر و لم ينالا من النبى، و أعطاهم عمّارُ ما أرادوا۶.

۱- . تفسير الثعلبى: ۸/۲۷۳.

۲- . النحل: ۱۰۶.

منه فأطلقوه، ثمّ أخبر بذلك رسول اللّه، و انتشر خبره بين المسلمين، فقال قوم: كفر عمار، فقال الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم): «كلّا انّ عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، و اختلط الإيمان بلحمه و دمه».

و فى ذلك نزلت الآيه السابقه، و كان عمّار يبكى، فجعل رسول اللّه يَمْسَحَ عينيه، و يقول: «إن عادُوا لك فعُد لهم بما قلت».(۱)

۲. أخرج ابن أبى شيبه عن الحسن، انّ مسيلمه الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول اللّه (صلى الله عليه و آله و سلم) فقال لأحدهما:

أتشهد انّ محمّداً رسول اللّه؟ قال: نعم، قال: أ فتشهد أنّى رسول اللّه؟ قال: نعم، ثمّ دعا بالآخر فقال: أتشهد أنّ محمّداً رسول اللّه؟ قال: نعم، فقال له: أ فتشهد انّى رسول اللّه؟ قال: إنّى أصمّ. قالها ثلاثاً، كل ذلك يجيبه بمثل الأوّل، فضرب عُنقُه، فبلغ ذلك رسول اللّه (صلى الله عليه و آله و سلم) فقال: أمّا ذلك المقتول فقد۸۸

۱- . مجمع البيان: ۳/۳۸۸

مضی علی صدقه و یقینه، و أخذ بفضله، فهنیئاً له.

و أمّا الآخر فقبلَ رخصه اللّه فلا تبعهَ علیه.(۱)

۳. التقیه بعد رحیل الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم)

قد استغل الأمویُّون مسأله القضاء و القدر و رکّزوا علی أنّ کلّ ما یجری فی المجتمع الإسلامی بقضاء و قدر من اللّه سبحانه و لیس لأحد فیه الاختیار و لا الاعتراض، و علی ذلک فالفقر المدقع السائد بین أکثر المسلمین تقدیر من اللّه، و الترف الذی یعیشه الأمویون، و الظلم الذی یُلحقونه بالمسلمین تقدیر من اللّه.

و لما کانت تلک المزعمه مخالفه لضروره الدین و بعثه الأنبیاء، قام غیر واحد بوجه هذه الفکره، و سکت کثیرون خوفاً من بطش الأمویین، فکتموا عقیدتهم و سلکوا مسلکه.

۱- . مسند ابن أبی شیبه: ۱۲/۳۵۸، ط السلفیه; التبیان: ۲/۴۵۳، و قد علق الطوسی علی الروایه و قال: و علی هذا التقیه رخصه، و الافصاح بالحق فضیله، و ظاهر أخبارنا یدلّ علی انّها واجبه، و خلافها خطأ و سیوافیک أنّها علی أقسام خمسه.

التقيّه.

۱. هذا هو ابن سعد يروى عن الحسن البصرى بانّه كان يخالف الأمويين فى القدر بالمعنى الذى تتبنّاه السلطه آنذاك فلما خوّفه بعض أصدقائه من السلطان، وعد أن لا يعود.

روى ابن سعد فى طبقاته عن أيوب قال: نازلت الحسن فى القدر غير مره حتّى خوّفته من السلطان، فقال:

لا أعود بعد اليوم.(۱)

۲. كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم رئيس الشرطه فى بغداد أن يُشخص إليه سبعه نفر من المحدثين منهم:

۱. محمد بن سعد كاتب الواقدى، ۲. أبو مسلم، مستملى يزيد بن هارون، ۳. يحيى بن معين، ۴. زهير بن حرب أبو خثيمه، ۵. إسماعيل بن داود، ۶. إسماعيل بن أبى مسعود، ۷. أحمد بن الدورقى فامتحنهم المأمون و سألهم عن خلق القرآن، فأجابوا جميعاً انّ القرآن مخلوق فأشخصهم إلى مدينهت.

۱- . طبقات ابن سعد: ۷/۱۶۷، ط بيروت.

السلام، و أحضرهم إسحاق بن إبراهيم داره فشهّر أمرهم و قولهم بحضره الفقهاء و المشايخ من أهل الحديث فأقرّوا بمثل ما أجابوا به المأمون فخلّى سبيلهم. و قد فعل إسحاق بن إبراهيم ذلك بأمر المأمون.

يذكر أن الرأى الذى كان سائداً بين المحدّثين هو قدم القرآن أو عدم حدوثه و لكنّهم اتّقوا و اعترفوا بخلق القرآن، و هذا هو نفس التقيه التى يعمل بها الشيعه، و قد مارسها المحدِّثون فى عصر المأمون.

و هناك رساله أُخرى للمأمون إلى إسحاق بن إبراهيم رئيس الشرطه، و ممّا جاء فيها: و ليس يَرى أمير المؤمنين لمن قال بهذه المقاله (القرآن ليس بمخلوق) حظاً فى الدين و لا نصيباً من الإيمان....

فلما جاءت الرساله إلى إسحاق بن إبراهيم أحضر لفيفاً من المحدّثين ربما يبلغ عددهم إلى ۲۶ فقرأ عليهم رساله المأمون مرتين حتّى فهموها ثمّ انّ إسحاق دعا بهم رجلاً رجلاً فأجاب القوم كلّهم و اعترفوا بانّ القرآن مخلوق إلّا أربعه نفر منهم:

أحمد بن حنبل، و سجاده، و القواريری، و محمد بن نوح المضروب، فأمر بهم إسحاق بن إبراهيم فشُدُّوا فی الحديد، فلما كان من الغد دعا بهم جميعاً يساقون فی الحديد فأعاد عليهم المحنه فأجابه سجاده إلی أنّ القرآن مخلوق فأمر بإطلاق قيده و خلّی سبيله و أصرّ الآخرون علی قولهم.

فلما كان من بعد الغد عاودهم أيضاً فأعاد عليهم القول، فأجاب القواريری بأنّ القرآن مخلوق فأمر بإطلاق قيده و خلّی سبيله، و أصرّ أحمد بن حنبل و محمد بن نوح علی قولهما و لم يرجعا فشدّا جميعاً فی الحديد و وُجِّها إلی طرسوس و كتب معهما كتاباً بإشخاصهما.

ثمّ لما اعتُرض علی الراجعين عن عقيدتهم، برّروا عملهم بعمل عمار بن ياسر حيث أكره علی الشرك و قلبه مطمئن بالإيمان.(۱)

كلّ ذلك يدلّ علی انّ التقيه أصل مشروع التزم بها المسلمون عند الشعور بالضعف أمام السلطه الغاشمه..

۱- . لاحظ تاريخ الطبری: ۷/۱۹۷، حوادث ۲۱۸ ه.

و بذلک یظهر انّ اتهام الشیعه بتفرّدها بالقول بالتقیه یضادُّ الذکر الحکیم و السنه النبویه و سیره المسلمین عبر التاریخ.

إنّ التقیه سلاح الضعیف، سلاح من صُودرتْ حقوقه و حرّیاته من قبل سلطه غاشمه، قاهره، لا تُبدی أیه مرونه فی مواقفها، و هذا هو حکم العقـل و هو دفع الضـرر عن النفس و النفیس بإظهـار الموافقه لسانـاً و عملاً حتّی یرتفع الضـرر ثمّ یعود الإنسان إلی ما کان علیه.

و مثل هذا لا یمکن أن یختص بفرقه دون أُخری.

ص: ۲۳

۴ محنه الشیعه فی عصر الأمویین و العباسیین

اشـتهرت الشیعه بالتقیّه أکثر من سائر الفرق، و لکونهم أکثر من غیرهم من حیث التعرّض للضغط، و مصادره الحریّات، بالظنّه، و التشرید و قتل تحت کلّ حجر و مدر.

إنّ الـذی دفع بالشـیعه إلی التقیه بین إخوانهم و أبنـاء دینهم إنّمـا هو الخوف من السـلطات الغاشـمه، فلو لم یکن هناک فی غابر القرون من عصـر الأمویین ثمّ العباسـیین و العثمانیین أیُّ ضـغط علی الشـیعه، و لم تکن بلادهم و عُقر دارهم مخضّبه بدمائهم (و التاریخ خیر شاهد علی ذلک)، لأصبح من المعقول أن تَنْسی الشیعه کلمه التقیه و أن تحذفها

من قاموس حياتها، و لكن يا للأسف إنّ كثيراً من إخوانهم كانوا أداه طيّعه بيد الأمويين و العباسيين الذين كانوا يرون فى مذهب الشيعه خطراً على مناصبهم، فكانوا يؤلّبون العامه من أهل السنّه على الشيعه يقتلونهم و يضطهدونهم و ينكلون بهم، و لذا و نتيجه لتلك الظروف الصعبه، لم يكن للشيعه، بل لكل من يملك شيئاً من العقل وسيله إلّا اللجوء إلى التقيه أو رفع اليد عن المبادئ المقدّسه التى هى أغلى عنده من نفسه و ماله.

و الشواهد على ذلك أكثر من أن تُحصى أو أن تعدَّ، إلّا أنّا سنستعرض جانباً مختصراً منها: فمن ذلك ما كتبه معاويه بن أبى سفيان باستباحه دماء الشيعه أينما كانوا و كيفما كانوا، و إليك نص ما ذكرته المصادر عن هذه الواقعه لتدرك محنه الشيعه:

محنه الشيعه فى العصر الأموى

روى أبو الحسن على بن محمّد بن أبى سيف المدائنى فى كتاب «الأحداث» قال: كتب معاويه نسخه واحده إلى عُمّاله بعد عام الجماعه: أن برئت الذمه ممن روى شيئاً من

فضل أبی تراب و أهل بیته، فقامت الخطباء فی کل کوره، و علی کل منبر، یلعنون علیاً و یتبرءون منه و یقعون فیه و فی أهل بیته، و کان أشد الناس بلاء حینئذ أهل الکوفه، لکثره مَن بها من شیعه علی (علیه السلام) فاستعمل علیها زیاد بن سمیه، و ضم إلیه البصره، فکان یتتبّع الشیعه و هو بهم عارف، لأنّه کان منهم أیام علی (علیه السلام)، فقتلهم تحت کل حجر و مدر، و أخافهم، و قطع الأیدی و الأرجل، و سَمَلَ العیون، و صلبهم علی جذوع النخل، و طردهم و شرَّدهم عن العراق، فلم یبق بها معروف منهم، و کتب معاویه إلی عمّاله فی جمیع الآفاق: ألّا یجیزوا لأحد من شیعه علی و أهل بیته شهاده.

ثمّ کتب إلی عمّاله نسخه واحده إلی جمیع البلدان: انظروا من قامت علیه البیّنه أنّه یحبّ علیاً و أهل بیته، فامحوه من الدیوان، و أسقطوا عطاءه و رزقه، و شفع ذلک بنسخه أُخری: مَن اتهمتموه بموالاه هؤلاء القوم، فنکّلوا به، و اهدموا داره. فلم یکن البلاء أشد و لا أکثر منه بالعراق، و لا سیّما بالکوفه حتّی أنّ الرجل من شیعه علی (علیه السلام) لیأتیه من یثق به،

فیدخل بیته، فیُلقی إلیه سرّه، و یخاف من خادمه و مملوکه، و لا یحدّثه حتی یأخذ علیه الأیمان الغلیظه، لیکتمنَّ علیه.

و أضاف ابن أبی الحدید: فلم یزل الأمر کذلک حتی مات الحسن بن علی (علیهما السلام)، فازداد البلاء و الفتنه، فلم یبق أحد من هذا القبیل إلّا و هو خائف علی دمه، أو طرید فی الأرض.

ثمّ تفاقم الأمر بعد قتل الحسین (علیه السلام)، و ولی عبد الملک بن مروان، فاشتد علی الشیعه، و ولّی علیهم الحجاج بن یوسف، فتقرَّب إلیه أهل النسک و الصلاح و الدین ببغض علی و موالاه أعدائه، و موالاه من یدعی من الناس أنّهم أیضاً أعداؤه، فأکثروا فی الروایه فی فضلهم و سوابقهم و مناقبهم، و أکثروا من البغض من علی (علیه السلام) و عیبه، و الطعن فیه، و الشنآن له، حتی أنّ إنساناً وقف للحجاج و یقال إنّه جد الأصمعی عبد الملک بن قریب فصاح به: أیّها الأمیر إنّ أهلی عقونی فسمّونی علیاً، و إنّی فقیر و بائس و أنا إلی صله الأمیر محتاج، فتضاحک له الحجاج، و قال: للطف ما توسّلتَ به، قد ولّیتک

موضع کذا.(۱)

و استمر الحزب الأموی فی الإرهاب و سفک الدماء علی امتداد مراحل وجوده فی السلطه، حیث سجّل لنا التاریخ حوادث أُخری تحکی أبشع صور الإرهاب و الاستخفاف بقیم الحق و العدل أیام عبد الملک بن مروان و قتله سعید بن جبیر. و قد جاء فی کتاب عبد الملک بن مروان الذی ولّی فیه خالد بن عبد اللّه القسری:

أمّا بعد، فانّی ولّیت علیکم خالد بن عبد اللّه القسری، فاسمعوا له و أطیعوا، و لا یجعلن امرؤ علی نفسه سبیلاً، فإنّما هو القتل لا غیر، و قد برئت الذمه من رجل آوی سعید بن جبیر، و السلام. ثمّ التفت إلیهم خالد، و قال:

و الذی نحلف به، و نحجُّ إلیه، لا أجده فی دار أحد إلّا قتلته و هدمت داره و دار کلّ من جاوره و استبحت حرمته، و قد أجّلت لکم فیه ثلاثه أیّام.(۲)ر.

۱- . شرح نهج البلاغه: ۴۶۱۱/۴۴.

۲- . الإمامه و السیاسه: ۲/۴۷، ط مصر.

ثمّ يُلقى القبض على سعيد بن جبير الذى كان من طلائع الموالين لآل البيت النبوى، و يُسلَّم إلى الحجاج السفّاح الشهير فى تاريخ الإسلام الذى قتل عشرات الآلاف من معارضى السلطه، فيقتله.

و هذا هو الإمام الباقر (عليه السلام) يصف بيئته و المجتمع الذى كان يعيش فيه حيث قال لبعض أصحابه: يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيانا، و تظاهرهم علينا، و ما لقى شيعتنا و محبونا من الناس... إلى أن قال ثمّ لم نزل أهلَ البيت نُستذل و نُستضام، و نُقصى و نُمتهن، و نُحرم و نُقتل، و نخاف و لا نأمن على دمائنا و دماء أوليائنا، و وجد الكاذبون الجاحدون، لكذبهم و جحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم، و قضاه السوء و عمال السوء فى كلّ بلده، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعه المكذوبه و رووا عنّا ما لم نقله و ما لم نفعله، ليبغّضونا إلى الناس، و كان عُظم ذلك و كبره زمن معاويه بعد موت الحسن (عليه السلام) فقتلت شيعتنا بكلّ بلده، و قطعت الأيدى و الأرجل على الظنه، و كان من يذكر بحبنا

و الانقطاع إلينا سُجن أو نُهب ماله، أو هدمت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتد و يزداد إلى زمان عبيد اللّه بن زياد قاتل الحسين (عليه السلام) ثمّ جاء الحجاج فقتلهم كلّ قتله و أخذهم بكلّ ظنه و تهمه، حتّى انّ الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال شيعه على.(۱)

محنه الشيعه فى العصر العباسى

لقد مارست السلطه العباسيه سياسه البطش و القتل و التشريد كنظيرتها السلطه الأمويه بل كانت أكثر بطشاً و تنكيلاً، و هذا هو أبو الفرج الاصفهانى يقول فى حقّ المتوكل:

كان المتوكل شديد الوطأه على آل أبى طالب، غليظاً فى جماعتهم، شديد الغيظ و الحقد عليهم، و سوء الظن و التهمه لهم... و استعمل على المدينه و مكه عمر بن الفرج الرخجى، فمنع آل أبى طالب من التعرض لمسأله الناس۳.

۱- . شرح ابن أبى الحديد: ۴۴۱۱/۴۳.

و منع النـاس من البرّ بهم، و كـان لا- يبلغه انّ أحـداً أبرّ أحـداً منهم بشـيء، و إن قـل إلاّ- أنهكه عقوبه، و اثقله غرمـاً، حتّى كـان القميص يكون بين جماعه من العلويات يصلّين فيه واحده بعد واحده ثمّ يرقعنه، و يجلسن على مغازلهن عوارى حاسرات.(۱)

هكـذا شـاء أمير المؤمنين المتوكـل على اللّه، أن تقبع العلويـات فى بيوتهن عاريـات يتبـادلن القميص المرقع عنـد الصـلاه، و ان تختال الفاجرات العاهرات بالحلى و حلل الديباج بين الاماء و العبيد... لقد أرسل الرشـيد إلى بنات الرسول من يسلب الثياب عن أبدانهن، أمّا المتوكّل فقد شدد و ضيق عليهن، حتّى ألجأهن إلى العرى، و هكذا تتطور الفلسفات و المناهج مع الزمن على أيدى القرشـيين العرب أبناء الأمجاد و الأشـراف! لقـد تفرق العلويون أيام المتوكل، فمنهم من توارى فمات فى حال تواريه كأحمد بن عيسى الحسين و عبد اللّه بن۶.

۱- . مقاتل الطالبيين: ۳۹۵ ۳۹۶.

موسی الحسینی، و منهم من ثار علی القهر و الجور کمحمد بن صالح و محمد بن جعفر.

و لم یکتف المتوکل بالتنکیل بالأحیاء، حتّی اعتدی علی قبور الأموات فهدم قبر الحسین (علیه السلام) و ما حوله من المنازل و الدور، و منَع الناس من زیارته و نادی مناديه من وجدناه عند قبر الحسین (علیه السلام) حبسناه فی المطبق سجن تحت الأرض فقال الشاعر:

تاللّه إن کانت أمیه قد أتت قتل ابن بنت نبیها مظلوماً

فلقد أتاه بنو أبیه مثلها هذا لعمرک قبره مهدوماً

أسفوا علی أن لا یکونوا شایعوا فی قتله فتَتبعوه رمیماً(۱).

۱- . الشیعه و الحاکمون: ۱۶۹ ۱۷۰.

نعم كانت التقيه بين الشيعه تزداد تاره و تتضاءل أخرى، حسب قوّه الضغط و ضآلته، فشتّان بين عصر المأمون الذى يجيز مادحى أهل البيت، و يكرم العلويين، و بين عصر المتوكل الذى يقطع لسان ذاكرهم بفضيله.

فهذا ابن السكيت أحد أعلام الأدب فى زمن المتوكل، و قد اختاره معلّماً لولديه فسأله يوماً: أيّهما أحبُّ إليك ابناى هذان أم الحسن و الحسين؟ قال ابن السكيت: و اللّه إنّ قنبر خادم على (عليه السلام) خير منك و من ابنيك. فقال المتوكل: سلّوا لسانه من قفاه، ففعلوا ذلك به فمات. و لما مات سيَّر المتوكل لولده يوسف عشره آلاف درهم و قال:

هذه ديه والدك!!(۱) و هذا ابن الرومى الشاعر العبقرى يقول فى قصيدته التى يرثى بها يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن على:۶.

۱- . ابن خلكان: وفيات الأعيان: ۳/۳۳. الذهبى: سير أعلام النبلاء: ۱۲/۱۶.

أ كلّ أوان للنبيّ محمّد قتيل زكيّ بالدماء مضرَّجُ

بنى المصطفى كم يأكل الناس شلوكم لبلواكم عمّا قليل مفرِّجُ

أبعد المكنّى بالحسين شهيدكم تضىء مصابيح السماء فتسرجُ(۱)

و كان العباسيون أشدّ كرهاً للعلويين من الأمويين، و أعظم بغضاً فأمعنوا فيهم قتلاً و حرقاً و اضطهاداً و تعذيباً، فهذا هو المنصور يُحمل إليه من المدينه كلّ من كان فيها من العلويين مقيدين بالسلاسل و الأغلال، و لما وصلوا إليه حبسهم فى سجن مظلم لا يعرف فيه ليل من نهار، و كان إذا مات أحدهم تُرك معهم و أخيراً أمر بهدم السجن عليهم، و فى ذلك يقول أحد شعراء الشيعه:۳.

۱- . ديوان ابن الرومى: ۲/۲۴۳.

و اللّه ما فعلت أميه فيهم معشار ما فعلت بنو العباس

و قال آخر:

يا ليت جور بنى مروان دام لنا وليت عدل بنى العباس فى النار(۱)

و قال أبو فراس:

ما نال منهم بنو حرب و إن عظمت تلك الجرائم إلّا دون نيلكم

و قال الشريف الرضى:

ألا ليس فعل الأولين و إن علا على قبح فعل الآخرين بزائد

و قال الشيخ الطوسى الذى كان يعيش فى عصر ازدهار الخلافه العباسيه، و هو يصف حال الشيعه:

لم تلق فرقه و لا بُلى أهل مذهب بما بُليت به الشيعه، حتّى إنّا لا نكاد نعرف زماناً تقدّم سلمت فيه الشيعه منى.

۱- . الشعر لأبى عطاء السندى.

الخوف و لزوم التقیه، و لا حالاً عریت فیه من قصد السلطان و عصبیته و میله و انحرافه.(۱)

هـذه لمحه خـاطفه لمحنه الشـیعه فی العصـر العباسـی و قـد دام الأـمر علی هـذه الوتیره فی العصور المتـأخره لاـ سـیما فی عصـر الأیوبیین و العثمانیین.

محنه الشیعه فی العصرین: الأیوبی و العثمانی

مـا إن انتزع صـلاح الـدین الأیوبی الملک من الفاطمیین حتّی قام بعزل القضاه الشـیعه و اسـتناب عنهم قضاه شافعیه، و أبطل من الأـذان «حی علی خیر العمل» و تظاهر الناس بمـذهب مالک و الشافعی، و اختفی مـذهب التشـیع إلی أن نسـی من مصـر، و کان یحمـل الناس علی التسـنن و عقیـده الأشـعری، و من خالف ضـربت عنقه، و أمر أن لا تقبل شـهاده أحـد و لا یقـدم للخطابه و لا للتدریس إلّا إذا کان مقلداً لأحد المذاهب الأربعه، قال الخفاجی فی۹.

۱- . الطوسی: تلخیص الشافی: ۲/۵۹.

کتابه «الأزهر فی ألف عام»(۱) ما نصه: فقد غالی الأیوبیون فی القضاء علی کلّ أثر للشیعه.

و أمّا فی العصر العثمانی فقد تولی السلطان سلیم زعامه السنه و استحصل علی فتوی من شیوخ السوء بأنّ الشیعه خارجون علی الدین یجب قتلهم و لذلک أمر بقتل کلّ من کان معروفاً بالتشیع داخل بلاده.

و بهذا الأمر قُتل فی الاناضول وحدها أربعون ألفاً و قیل سبعون، لا لشیء إلّا لأنّهم شیعه. و جاء فی «الفصول المهمه» للسید شرف الدین انّ الشیخ نوح الحنفی أفتی بکفر الشیعه و وجوب قتلهم، فقتل من جراء هذه الفتوی عشرات الألوف من شیعه حلب حتّی لم یبق فیها شیعی واحد و کان التشیّع فیها راسخاً و منتشراً منذ کانت حلب عاصمه الدوله الحمدانیه، و قد نشأ فی حلب منذ القدیم العدید من کبار العلماء و أئمه الفقه کبنی زهره و آل أبی جراده و غیرهم ممن جاء ذکرهم فی کتب السیر و التراجم خاصه کتاب «أمل۸.

۱- . الأزهر فی ألف عام: ۱/۵۸.

الآمل».(۱)

و قتل العثمانیون الشهید الثانی المشهور بفضله و ورعه و کتبه العلمیه الجلیله التی یدرس بعضها حتّی الیوم فی جامعه النجف و قم، و فعل الجزار والی عکا بجبل عامل ما فَعل الحجاج فی العراق.

و انتهب الجزار أموال العامليين و مكتباتهم، و كان فی مكتبه آل خاتون خمسه آلاف مجلد و بقيت أفران عكا توقد أسبوعاً كاملاً- من كتب العامليين، و لم يسلم من ظلم الجزار إلاّ- من استطاع الفرار، و فی عهده هاجر علماء جبل عامل مشردين فی الأقطار، و من هؤلاء الشاعر الشيعی إبراهيم يحيی الذی هرب إلی دمشق، و فی نفسه لوعه و حسره، و ذكری فظائع الجزار لا تفارقه بحال و قد صورها و هو شاهد عيان فی قصائد تدمی الأفئده و القلوب منها قصيده طويله، يقول فيها:ه.

۱- . راجع الفصول المهمه: ۲۰۶، الفصل التاسع; غنيه النزوع: ۱۱، المقدمه.

يعز علينا أن نروح و مصرنا لفرعون مغنى، يصطفيه و مغنم

منازل أهل العدل منهم خليّه و فيها لأهل الجور جيش عرمرم

هـذه لمحه خاطفه لمحنه الشـيعه فى العصـر العثمانى، و على الرغم من شـيوع الحريه فى عصـرنا الراهن فلم تزل الشـيعه فى أكثر نقاط العالم تمارس التقيه، و إلّا يضيق عليها الخناق.

يقول العلّامه السـيّد هبه الدين الشهرسـتانى: إنّ التقيه شـعار كلّ ضـعيف مسـلوب الحريه. إنّ الشـيعه قد اشتهرت بالتقيه أكثر من غيرها لأنّها مُنيت باسـتمرار الضـغط عليها أكثر من أيه أُمّه أُخرى، فكانت مسـلوبه الحريه فى عهـد الدوله الأمويه كلّه، و فى عهد العباسـيين على طوله، و فى أكثر أيـام الـدوله العثمـانيه، و لأـجله استشـعروا بشـعار التقيه أكثر من أىّ قوم، و لمـا كـانت الشـيعه، تختلف عن الطوائف المخالفه لها فى قسم مهم من الاعتقادات فى أُصول الدين و فى كثير من

الأحكام الفقهيّه، و المخالفه تستجلب بالطبع رقابه و تصدقه التجارب، لذلك أضحت شيعه الأئمّه من آل البيت مضطرّه فی أكثر الأحيان إلی كتمان ما تختص به من عاده أو عقيده أو فتوی أو كتاب أو غير ذلك، تبتغی بهذا الكتمان، صيانهَ النفس و النفيس، و المحافظه علی الوداد و الاخوه مع سائر اخوانهم المسلمين، لئلّا تنشق عصا الطاعه، و لكی لا يحسّ الكفّار بوجود اختلاف ما فی المجتمع الإسلامی فيوسع الخلاف بين الأُمّه المحمديه.

لهذه الغايات النزيهه كانت الشيعه تستعمل التقيه و تحافظ علی وفاقها فی الظواهر مع الطوائف الأُخری، متبعه فی ذلك سيره الأئمّه من آل محمد و أحكامهم الصارمه حول وجوب التقيه من قبيل: «التقيه دينی و دين آبائی»، إذ أنّ دين اللّه يمشی علی سنّه التقيه لمسلوبی الحريه، دلّت علی ذلك آيات من القرآن العظيم.(۱)

روی عن صادق آل البيت (عليهم السلام) فی الأثر الصحيح:

«التقيه دينی و دين آبائی».۶.

۱- . غافر: ۲۸; النحل: ۱۰۶.

لقد كانت التقيه شعاراً لآل البيت (عليهم السلام) دفعاً للضرر عنهم، و عن أتباعهم، و حقناً لدمائهم، و استصلاحاً لحال المسلمين، و جمعاً لكلمتهم، و لمّاً لشعثهم، و ما زالت سمه تُعرف بها الإماميه دون غيرها من الطوائف و الأُمم. و كل إنسان إذا أحسّ بالخطر على نفسه، أو ماله بسبب نشر معتقده، أو التظاهر به لا بد أن يتكتم و يتقى مواضع الخطر. و هذا أمر تقتضيه فطره العقول.

من المعلوم أنّ الإماميه و أئمّتهم لاقوا من ضروب المحن، و صنوف الضيق على حرياتهم فى جميع العهود ما لم تلاقه أيه طائفه، أو أُمّه أُخرى، فاضطروا فى أكثر عهودهم إلى استعمال التقيه فى تعاملهم مع المخالفين لهم، و ترك مظاهرتهم، و ستر عقائدهم، و أعمالهم المختصه بهم عنهم، لما كان يعقب ذلك من الضرر فى الدنيا.

و لهذا السبب امتازوا بالتقيه و عرفوا بها

دون سواهم.(۱)

حصیله البحث

فحصیله البحث انّ أوساط الشیعه شهدت مجازر بشعه علی ید السلطات الغاشمه، فقتل الآلاف منهم، و أمّا من بقی منهم علی قید الحیاه فقد تعرض إلی شتی صنوف التنکیل و الارهاب و التخویف، و الحقّ یقال: انّ من الأُمور العجیبه أن یبقی لهذه الطائفه باقیه رغم کلّ ذلک الظلم الکبیر و القتل الذریع بل العجب العجاب أن تجد هذه الطائفه قد ازدادت قوه و عده و أقامت دولاً و شیّدت حضارات و برز منها الکثیر من العلماء و المفکرین.

فلو کان الأخ السنی یری التقیه أمراً محرماً فلیعمل علی رفع الضغط عن أخیه الشیعی و أن لا یضیق علیه فی الحریه التی سمح بها الإسلام لأبنائه، و لیعذره فی عقیدته و عمله کما عذَرَ أُناساً کثیرین خالفوا الکتاب و السنّه و أراقوا الدماء و نهبوا الدیار فکیف بطائفه تدین بدینه و تتفق معه فی کثیر من معتقداته، و إذا کان معاویه و أبناء بیته و العباسیون کلّهم عنده مجتهدین فی بطشهم و إراقه دماء مخالفیهم فما ذا یمنعه۶.

۱- . مجله المرشد: ۳/۲۵۲، ۲۵۳ و لاحظ تعالیق اوائل المقالات ص ۹۶.

عن إعذار الشيعه باعتبارهم مجتهدين.

و إذا كـانوا يقولون و ذاك هو العجيب انّ الخروج على الإمام على (عليه السـلام) غير مضـرّ بعـداله الخارجين و الثائرين عليه، و فى مقـدمتهم طلحه و الزبير و أُمّ المؤمنين عـائشه، و إنّ إثاره الفتن فى صـفّين التى انتهت إلى قتل كثير من الصـحابه و التابعين و إراقه دماء الآلاف من العراقيين و الشاميين لا تنقص شيئاً من ورع المحاربين!! و هم بعد ذلك مجتهدون معذورون لهم ثواب من اجتهد و أخطأ، فَلِمَ لا يتعامل مع الشيعه ضمن هذا الفهم و لا يذهب إلى أنّهم معذورون و مثابون!!

۵ الغایه من تشریع التقیه

الغـایه من التقیه: هی صـیانه النفس و العرض و المـال، و ذلک فی ظروف قاهره لا یسـتطیع فیها المؤمن أن یعلن عن موقفه الحق صریحـاً خوفـاً من أن تترتّب علی ذلـک مضـار و تهلکه من قوی ظـالمه غاشـمه تمارس الارهابَ، و التشـرید و النفی، و القتل و التنکیل، و مصادره الأموال، و سـلب الحقوق الحقه، و عندئذ لا یجد صاحبُ العقیده الذی یری نفسه محقاً محیصاً عن إبطانها، و التظاهر بما یوافق هوی الحاکم و توجّهاته حتی یسلم من الاضطهاد و التنکیل و القتل، إلی أن یُحدِث اللّه أمراً.

إنّ التقیه سلاح الضعیف فی مقابل القوی الغاشم، سلاح من یُبتلی بمن لا یحترم دمه و عرضه و ماله، لا لشیء إلّا

لأنّه لا يتفق معه فی بعض المبادئ و الأفكار.

إنّما يمارس التقيه من يعيش فی بيئه صودرت فيها الحريه فی القول و العمل، و الرأی و العقيده فلا ينجو المخالف إلّا بالصمت و السكوت مُرغماً أو بالتظاهر بما يوافق هوی السلطه و أفكارها، أو قد يلجأ إليها البعض كوسيله لا بد منها من أجل اغاثه الملهوف المضطهد و المستضعف الذی لا حول له و لا قوه، فيتظاهر بالعمل إلی جانب الحكومه الظالمه وصولاً إلی ذلك كما كان عليه مؤمن آل فرعون الذی حكاه سبحانه فی الذكر الحكيم.

إنّ أكثر من يَعيبُ التقيه علی مستعملها، يتصوّر أو يصوِّر أنّ الغايه منها هو تشكيل جماعات سريه هدفها الهدم و التخريب، كما هو المعروف من الباطنيين و الأحزاب الإلحاديه السريه، و هو تصوّر خاطئ ذهب إليه أُولئك جهلاً أو عمداً دون أن يرتكزوا فی رأيهم هذا علی دليل ما أو حجه مقنعه، فأين ما ذكرناه من هذا الذی يُذكر، و لو لم تستبد الظروف القاهره و الأحكام المتعسفه بهذه الجموع المستضعفه

من المؤمنين لما كانوا عمدوا إلى التقيه، و لما تحمّلوا عبء إخفاء معتقداتهم و لَدَعوا الناس إليها علناً و دون تردّد.

أين العمل الدفاعى بصوره بدائيه من الأعمال التى يرتكبها أصحاب الجماعات السريه للإطاحه بالسلطه و امتطاء منصّه الحكم؟ و هى أعمال كلها تخطيطات مدبّره لغايات ساقطه.

و هؤلاء هم الذين يحملون شعار «الغايات تبرّر الوسائل» فكل قبيح عقلى أو ممنوع شرعى يستباح عندهم لغايه الوصول إلى المقاصد المشئومه.

إنّ القول بالتشابه بين هؤلاء و بين من يتخذ التقيه غطاءً، و سلاحاً دفاعياً ليسلم من شر الغير، حتى لا يُقْتَل و لا يُستأصل، و لا تُنهب داره و ماله، إلى أن يُحدث اللّه أمراً، من قبيل عطف المبائن على مثله.

إنّ المسلمين القاطنين فى الاتحاد السوفيتى السابق قد لاقوا من المصائب و المحن ما لا يمكن للعقول أن تحتملها

و لاـ أن تتصورهـا، فإنّ الشـيوعيّين طيله تسـلّطهم على المناطق الإسـلاميه قلبوا لهم ظهر المِجَنّ، فصادروا أموالهم و أراضـيهم، و مسـاكنهم، و مساجـدهم، و مدارسـهم، و أحرقوا مكتبـاتهم، و قتلوا كثيراً منهم قتلاً ذريعاً و وحشـياً، فلم ينـج منهم إلّا من اتقاهم بشـيء من التظاهر بالمرونه، و إخفاء المراسـيم الدينيه، و العمل على إقامه الصـلاه فى البيوت إلى أن نجّاهم اللّه سبحانه بانحلال تلك القوه الكافره، فبرز المسـلمون إلى الساحه من جديـد، فملكوا أرضـهم و ديارهم، و أخـذوا يسـتعيدون مجـدهم و كرامتهم شيئاً فشيئاً، و ما هذا إلّا ثمره من ثمار التقيه المشروعه التى أباحها اللّه تعالى لعباده بفضله و كرمه سبحانه على المستضعفين.

فإذا كان هذا معنى التقيه و مفهومها، و كانت هذه غايتَها و هدفَها، فهى أمر فطرىّ، يسوق الإنسان إليها قبل كل شىء عقلُه و لبُّه، و تـدعوه إليهـا فطرته، و لأجل ذلك يلوذ بها كل من ابتُلى بالملوك و الساسه الـذين لا يحترمون شـيئاً سوى رأيهم و فكرتهم و مطامعهم و سلطتهم و لا يترددون عن التنكيل بكل

من يعارضهم فی ذلک، من غیر فرق بین المسلم شیعیاً کان أم ستیّاً و غیره، و من هنا تظهر جدوی التقیه و عمق فائدتها.

و لأجل دعم هذا الأصل الحیویّ، ندرس دلیله من القرآن و السنّه.

ص: ۴۸

۶ التقیه فی الکتاب العزیز

شرّعت التقیه بنص القرآن الکریم، حیث وردت فیها جمله من الآیات الکریمه(۱) سنحاول استعراضها فی الصفحات التالیه:

الآیه الأُولی:

قال سبحانه: (مَنْ کَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِیمانِهِ إِلاّ مَنْ أُکْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِیمانِ وَ لکِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْکُفْرِ صَدْراً فَعَلَیْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللّهِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِیمٌ).(۲)

۱- . غافر: الآیه ۲۸ و ۴۵، و القصص: الآیه ۲۰، و ستوافیک نصوص الآیات فی ثنایا البحث.

۲- . النحل: ۱۰۶.

ترى أنّه سبحانه يجوّز إظهار الكفر كرهاً و مجاراةً للكافرين خوفاً منهم، بشرط أن يكون القلب مطمئناً بالإيمان، و صرّح بذلك لفيف من المفسرين القدامى و الجُدد، سنحاول أن نستعرض كلمات البعض منهم تجنّباً عن الإطاله و الاسهاب، و لمن يبتغى المزيد فعليه مراجعه كتب التفسير المختلفه:

١. قال الطبرسى: قد نزلت الآيه فى جماعه أُكرهوا على الكفر، و هم عمّار و أبوه ياسر و أُمّه سميه، و قُتلَ الأبوان لأنّهما لم يظهرا الكفر و لم ينالا من النبىّ، و أعطاهم عمّار ما أرادوا منه، فأطلقوه، ثمّ أخبر عمّار بذلك رسول اللّه، و انتشر خبره بين المسلمين، فقال قوم: كفر عمّار، فقال الرسول: «كلّا إنّ عمّاراً مُلئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، و اختلط الإيمان بلحمه و دمه».

و فى ذلك نزلت الآيه السابقه، و كان عمّار يبكى، فجعل رسول اللّه يمسح عينيه و يقول: «إن عادوا لك فعد لهم بما قلت».(١)٨.

١- . مجمع البيان: ٣/٣٨٨.

۲. و قال الزمخشری: روی أنّ أناساً من أهل مکّه فُتِنُوا فارتدّوا عن الإسلام بعد دخولهم فیه، و کان فیهم من أکره و أجری کلمه الکفر علی لسانه و هو معتقد للإیمان، منهم عمّار بن یاسر و أبواه: یاسر و سمیه، و صهیب و بلال و خبّاب.

أمّا عمّار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مکرهاً....(۱)

۳. و قال الحافظ ابن ماجه: و الایتاء: معناه الاعطاء أن وافقوا المشرکین علی ما أرادوا منهم تقیه، و التقیه فی مثل هذه الحال جائزه، لقوله تعالی: (إِلاّ مَنْ أُکْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِیمانِ).(۲)

۴. و قال القرطبی: قال الحسن: التقیه جائزه للإنسان إلی یوم القیامه ثمّ قال: أجمع أهل العلم علی أنّ من أُکره علی الکفر حتّی خشی علی نفسه القتل إنّه لا إثم علیه إن کفر و قلبه مطمئن بالإیمان و لا تَبین منه زوجته و لا یُحکم علیه ۰.

۱- . الکشاف عن حقائق التنزیل: ۲/۴۳۰.

۲- . ابن ماجه: السنن: ۱/۵۳، شرح حدیث رقم ۱۵۰.

بالکفر، هذا قول مالک و الکوفیین و الشافعی.(۱)

۵. قال الخازن: التقیه لا تکون إلاّ مع خوف القتل مع سلامه النیّه، قال اللّه تعالی: (إِلاّ مَنْ أُکْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِیمانِ) ثمّ هذه التقیه رخصه.(۲)

۶. قال الخطیب الشربینی: (إِلاّ مَنْ أُکْرِهَ) أی علی التلفّظ به (وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِیمانِ) فلا شیء علیه لأنّ محل الإیمان هو القلب.(۳)

۷. و قال إسماعیل حقّی: (إِلاّ مَنْ أُکْرِهَ) أُجبر علی ذلک اللفظ بأمر یخاف علی نفسه أو عضو من أعضائه... لأنّ الکفر اعتقاد، و الإکراه علی القول دون الاعتقاد، و المعنی: «و لکن المکره علی الکفر باللسان»، (وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِیمانِ) لا تتغیر عقیدته، و فیه دلیل علی أنّ الإیمان المنجی المعتبر عند اللّه، هو التصدیق بالقلب.(۴)۴.

۱- . الجامع لأحکام القرآن: ۴/۵۷.

۲- . تفسیر الخازن: ۱/۲۷۷.

۳- . السراج المنیر. فی تفسیر الآیه.

۴- . تفسیر روح البیان: ۵/۸۴.

الآیه الثانیه:

قال سبحانه: (لا یَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْکافِرِینَ أَوْلِیاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِینَ وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ فَلَیْسَ مِنَ اللّهِ فِی شَیْءٍ إِلاّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاهً وَ یُحَذِّرُکُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَی اللّهِ الْمَصِیرُ).(۱)

و کلمات المفسّرین حول الآیه تغنینا عن أی توضیح:

۱. قال الطبری: (إِلاّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاهً): قال أبو العالیه: التقیه باللسان، و لیس بالعمل، حُدّثت عن الحسین قال: سمعت أبا معاذ قال: أخبرنا عبید قال: سمعت الضحّاک یقول فی قوله تعالی: (إِلاّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاهً) قال: التقیّه باللسان من حُمِلَ علی أمر یتکلّم به و هو للّه معصیه فتکلم مخافه نفسه (وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِیمانِ) فلا إثم علیه، إنّما التقیه باللسان.(۲)

۲. و قال الزمخشری فی تفسیر قوله تعالی: (إِلاّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاهً): رخّص لهم فی موالاتهم إذا خافوهم، و المراد۳.

۱- . آل عمران: ۲۸.

۲- . جامع البیان: ۳/۱۵۳.

بتلك الموالاه: مخالفه و معاشره ظاهره، و القلب مطمئن بالعداوه و البغضاء و انتظار زوال المانع.(۱)

۳. قال الرازی فی تفسیر قوله تعالی: (إِلاّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً): المسأله الرابعه: اعلم: أنّ للتقیه أحکاماً کثیره، و نحن نذکر بعضها:

ألف: إنّ التقیّه إنّما تکون إذا کان الرجل فی قوم کفّار، و یخاف منهم علی نفسه، و ماله، فیداریهم باللسان، و ذلک بأن لا یظهر العداوه باللسان، بل یجوز أیضاً أن یظهر الکلام الموهم للمحبه و الموالاه، و لکن بشرط أن یضمر خلافه و أن یعرض فی کل ما یقول، فإنّ للتقیّه تأثیرها فی الظاهر لا فی أحوال القلوب.

ب: التقیّه جائزه لصون النفس، و هل هی جائزه: لصون المال؟ یحتمل أن یحکم فیها بالجواز، لقوله (صلی الله علیه و آله و سلم): «حرمه مال المسلم کحرمه دمه»، و لقوله (صلی الله علیه و آله و سلم): «من قتل دون ماله فهو شهید».(۲)۳.

۱- . الکشاف: ۱/۴۲۲.

۲- . مفاتیح الغیب: ۸/۱۳.

۴. و قال النسفی: (إِلّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً) إلّا أن تخافوا جهتهم أمراً یجب اتّقاؤه، أی ألّا یکون للکافر علیک سلطان فتخافه علی نفسک و مالک فحینئذ یجوز لک اظهار الموالاه و إبطان المعاداه.(۱)

۵. و قال الآلوسی: و فی الآیه دلیل علی مشروعیه التقیه و عرَّفوها بمحافظه النفس أو العرض أو المال من شر الأعداء. و العدو قسمان:

الأوّل: من کانت عداوته مبنیه علی اختلاف الدین، کالکافر و المسلم.

الثانی: من کانت عداوته مبنیه علی أغراض دنیویه، کالمال و المتاع و الملک و الاماره.(۲)

۶. و قال جمال الدین القاسمی: و من هذه الآیه: (إِلّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً) استنبط الأئمّه مشروعیه التقیه عند الخوف، و قد نقل الإجماع علی جوازها عند ذلک الإمام مرتضی۱.

۱- . تفسیر النسفی بهامش تفسیر الخازن: ۱/۲۷۷.

۲- . روح المعانی: ۳/۱۲۱.

الیمانی فی کتابه (إیثار الحق علی الخلق).(۱)

۷. و فسّر المراغی قوله تعالی: (إِلاّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً) بقوله: أی انّ ترک موالاه المؤمنین للکافرین حتم لازم فی کل حال إلاّ فی حال الخوف من شیء تتّقونه منهم، فلکم حینئذ أن تتّقوهم بقدر ما یتقی ذلک الشیء، إذ القاعده الشرعیه: «إنّ درء المفاسد مقدّم علی جلب المصالح».

و إذا جازت موالاتهم لاتّقاء الضرر فأولی أن تجوز لمنفعه المسلمین، إذاً فلا مانع من أن تحالف دوله إسلامیه دوله غیر مسلمه، لفائده تعود إلی الأُولی، إمّا بدفع ضرر أو جلب منفعه، و لیس لها أن توالیها فی شیء یضر المسلمین، و لا تختص هذه الموالاه بحال الضعف، بل هی جائزه فی کل وقت.

و قد استنبط العلماء من هذه الآیه جواز التقیه بأن یقول الإنسان أو یفعل ما یخالف الحق، لأجل التوقّی من ضرر یعود من الأعداء إلی النفس، أو العرض، أو المال.۲.

۱- . محاسن التأویل: ۴/۸۲.

فمن نطق بكلمه الكفر مكرهاً وقايه لنفسه من الهلاك، و قلبه مطمئن بالإيمان، لا يكون كافراً بل يُعذر كما فعل عمّار بن ياسر حين أكرهته قريش على الكفر فوافقها مكرهاً و قلبه مطمئن بالإيمان، و فيه نزلت الآيه:

(مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ).(۱)

هذه الجمل الوافيه و العبارات المستفيضه لا تدع لقائل مقالاً إلاّ أن يحكم بشرعيه التقيّه بالمعنى الذى عرفته، بل قد لا يجد أحد مفسّراً أو فقيهاً وقف على مفهومها و غايتها، و هو يتردد فى الحكم بجوازها، كما أنّك أخى القارئ لا تجد إنساناً واعياً لا يستعملها فى ظروف عصيبه، ما لم تترتّب عليها مفسده عظيمه، كما سيوافيك بيانها عند البحث عن حدودها.

و إنّما المعارض لجوازها أو المغالط فى مشروعيتها، فإنّما۶.

۱- . تفسير المراغى: ۳/۱۳۶.

يفسّرها بالتقيه الرائجه بين أصحاب التنظيمات السريه و المذاهب الهدّامه كالباطنيه و أمثالهم، إلّا أنّ المسلمين جميعاً بريئون من هذه التقيه الهدّامه لكل فضيله رابيه.

الآيه الثالثه:

قوله سبحانه: (وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّهُ وَ قَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَ إِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذّابٌ).(۱)

و كانت عاقبه أمره أن: (فَوَقاهُ اللّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا وَ حاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ).(۲)

و ما كان ذلك إلّا لأنّه بتقيّته استطاع أن ينجى نبىّ اللّه۵.

۱- . غافر: ۲۸.

۲- . غافر: ۴۵.

من الموت: (قالَ يا مُوسى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النّاصِحِينَ).(۱)

و هذه الآيات تدل على جواز التقيه لإنقاذ المؤمن من شرّ عدوّه الكافر.۰.

ص: ۵۹

۱- . القصص: ۲۰.

۷ التقیّه فی السنّه النبویّه

دلّت الروایات علی أنّ الوجوب و الحرمه ترتفع عند طروء الاضطرار، الذی تعدّ التقیه من مصادیقه و أوضح دلیل علی ذلک هو حدیث الرفع الذی رواه الفریقان.

۱. روی الصدوق بسند صحیح فی خصاله عن أبی عبد اللّه (علیه السلام) قال: قال رسول اللّه (صلی الله علیه و آله و سلم): «رفع عن أُمّتی تسعه: الخطأ، و النسیان، و ما أُکرهوا علیه، و ما لا یطیقون، و ما لا یعلمون، و ما اضطروا إلیه، و الحسد، و الطیره، و التفکّر فی الوسوسه فی الخلق ما لم ینطق بشفه».(۱)

إنّ للحدیث دوراً فی مبحث البراءه و الاشتغال فی علم الأُصول، و قد فصلنا الکلام حوله فی بحوثنا الأُصولیه.(۲)

۱- . الخصال: ۴۱۷.

۲- . لاحظ إرشاد العقول: ۳۶۴۱/۳۴۷.

و على كلّ تقدير فالحديث صريح فى أنّ الاضطرار يبيح المحظور.

۲. روى الكلينى بسند صحيح عن زراره، عن أبى جعفر (عليه السلام)، قال: «التقيه فى كلّ ضروره، و صاحبها أعلم بها حين تنزل به».(۱)

۳. روى الكلينى عن محمد بن مسلم و زراره قالوا: سمعنا أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «التقيه فى كلّ شىء يضطر إليه ابن آدم فقد أحلّه اللّه له».(۲)

۴. و عن الإمام الصادق (عليه السلام) انّه قال: «و كلّ شىء يعمل المؤمن بينهم لمكان التقيه ممّا لا يؤدى إلى الفساد فى الدين فانّه جائز».(۳)

۵. و عنه (عليه السلام) انّه قال: «و لا حنث و لا كفّاره على من حلف تقيه يدفع بذلك ظلماً عن نفسه».(۴)۷.

۱- . الوسائل: ۱۱، الباب ۲۵ من أبواب الأمر و النهى، الحديث ۱.

۲- . الوسائل: ۱۱، الباب ۲۵ من أبواب الأمر و النهى، الحديث ۲.

۳- . الكافى: ۲/۱۶۸.

۴- . الخصال: ۶۰۷.

۶. و عنه (علیه السلام) قال: «و انّ التقیه لأوسع ممّا بین السماء و الأرض».(۱)

إلی غیر ذلک من الروایات الوارده فی هذا الموضوع.

و لک أن تضیف إلی ذلک الاستدلال بالآیات التی رخصت عند الاضطرار، قال تعالی: (فَمَنِ اضْطُرَّ غَیْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَلا إِثْمَ عَلَیْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ) (۲) و مورد الآیه و إن کان الاضطرار لأجل الجوع، و لکن الموضوع هو الاضطرار، سواء أ کان العامل داخلیاً کاضطراره إلی أکل المیته، أو خارجیاً قاهراً مُلْزِماً علی العمل بالخلاف علی نحو لو لم یفعله لأدّی إلی إلحاق الضرر بنفسه و نفیسه.

التقیه فی کلمات العلماء

۱. قال ابن عباس: التقیّه باللسان و القلب مطمئن بالإیمان و لا یبسط یده للقتل.(۳)۹.

۱- . بحار الأنوار: ۷۵/۴۱۲.

۲- . البقره: ۱۷۳.

۳- . فتح الباری: ۱۲/۲۷۹.

۲. قال الحسن البصری: التقیه جائزه للمؤمن إلی یوم القیامه إلّا فی قتل النفس.(۱)

۳. و قال الرازی: تجوز التقیه لصون المال علی الأصح کما یجوز صون النفس.(۲)

۴. و قال السیوطی: یجوز أکل المیته فی المخمصه و إساغه اللقمه فی الخمر، و التلفظ بکلمه الکفر، و لو عمّ الحرام قطراً بحیث لا یوجد فیه حلال إلّا نادراً فانّه یجوز استعمال ما یحتاج إلیه.(۳)

و قد أنکر الشاطبی علی الخوارج إنکارهم التقیه فی القول و الفعل، و عدّها من جمله مخالفاتهم للکلیات الشرعیه أصلیه أو عملیه.(۴)

۵. و قال الطوسی: و التقیه عندنا واجبه عند الخوف علی النفس، و قد روی رخصه فی جواز الإفصاح بالحق۰.

۱- . تفسیر النیسابوری فی هامش الطبری: ۳/۱۷۸.

۲- . التفسیر الکبیر: ۸/۱۳.

۳- . الأشباه و النظائر: ۷۶.

۴- . الموافقات: ۴/۱۸۰.

عنده.(۱)

۶. و قال العلّامه الطباطبائی: الکتاب و السنّه متطابقان فی جوازها فی الجمله، و الاعتبار العقلی یؤیده، إذ لا بغیه للدین و لا همَّ لشارعه إلّا ظهور الحقّ و حیاته، و ربما یترتّب علی التقیه و المجاراه مع أعداء الدین و مخالفی الحقّ حفظ مصلحه الدین و حیاه الحق ما لا یترتب علی ترکها و إنکار ذلک مکابره و تعسف.(۲)

مجال التقیه هو الأُمور الشخصیه

عُرِفَتِ الشیعه بالتقیه و أنّهم یتّقون فی أقوالهم و أفعالهم، فصار ذلک مبدأ لوهم عَلِقَ بأذهان بعض السطحیین و المغالطین، فقالوا: بما أنّ التقیه من مبادئ التشیّع فلا یصح الاعتماد علی کلّ ما یقولون و یکتبون و ینشرون، إذ من المحتمل جداً أن تکون هذه الکتب دعایات و الواقع عندهم غیرها. هذا ما نسمعه منهم مرّه بعد مرّه، و یکرّره الکاتب الباکستانی۳.

۱- . التبیان: ۲/۴۳۵.

۲- . المیزان: ۳/۱۵۳.

«إحسان إلهی ظهیر» فی کتبه السقیمه التی یتحامل بها علی الشیعه.

و لکن نلفت نظر القارئ الکریم إلی أنّ مجال التقیه إنّما هو فی حدود القضایا الشخصیه الجزئیه عند وجود الخوف علی النفس و النفیس، فإذا دلّت القرائن علی أنّ فی إظهار العقیده أو تطبیق العمل علی مذهب أهل البیت ما یُلحق بالمؤمن الضرر، یُصبح هذا المورد من مواردها، و یحکم العقل و الشرع بلزوم الاتقاء حتی یصون بذلک نفسه و نفیسه عن الخطر. و أمّا الأُمور الکلّیه الخارجه عن إطار الخوف فلا- تتصوّر فیها التقیه، و الکتب المنتشره من جانب الشیعه داخله فی هذا النوع الأخیر، إذ لا خوف هناک حتی یکتب خلاف ما یعتقد، حیث لیس هناک أیُّ مُلْزم للکتابه أصلاً فی هذه الأحوال فله أن یسکت و لا یکتب شیئاً.

فما یدعیه هؤلاء أنّ هذه الکتب دعایات لا واقعیات ناشئ عن قلّه معرفتهم بحقیقه التقیه عند الشیعه.

و الحاصل: أنّ الشیعه إنّما کانت تتّقی فی عصر لم تکن

لهم دوله تحميهم، و لا ـ قدره و لا ـ منعه تدفع عنهم الأخطار. و أمّا هذه الأعصار فلا مسوّغ و لا مبرّر للتقيه إلّا فی موارد جزئیّه خاصه.

إنّ الشیعه کما ذکرنا لم تلجأ إلی التقیه إلاّ ـ بعد أن اضطرّت إلی ذلک، و هو حق لا أعتقد أنّ أحداً ینظر إلی الاُمور بلبّه لا بعواطفه یخالفها فیه، إلّا أنّ من الاُمور المسلّمه فی تاریخ التشیّع، کثره التقیه علی مستوی الفتاوی، و أمّا علی المستوی العملیّ فالشیعه من أکثر الناس تضحیه، و بوسع کل باحث أن یرجع إلی مواقف رجال الشیعه مع معاویه و غیره من الحکّام الأمویین، و الحکام العباسیین، أمثال حجر بن عدی، و میثم التمار، و رشید الهجری، و کمیل بن زیاد، و مئات من غیرهم، و کمواقف العلویین علی امتداد التاریخ و ثوراتهم المتتالیه و قد مرّ تفصیله فی بعض الفصول.

۸ أقسام التقيه

تنقسم التقيه حسب انقسام الأحكام إلى خمسه، و المهم هو الإشاره إلى الأقسام الثلاثه:

۱. التقيه الواجبه: و هى ما كانت لدفع الخوف على نفس أو عرض محترمين، أو ضرر لا يتحمل عن نفسه أو غيره من المؤمنين.

۲. التقيه المندوبه: و هى ما كانت لدفع ما يرجح دفعه من ضرر يسير يتحمّل عاده، سواء تعلق بنفسه أو بغيره.

۳. التقيه المحرمه و هى ما يترتّب عليها مفسده أعظم، كهدم الدين و خفاء الحقيقه على الأجيال الآتيه، و تسلّط الأعداء على شئون المسلمين و حرماتهم و معابدهم، و لأجل ذلك ترى أنّ كثيراً من أكابر الشيعه رفضوا التقيه فى بعض

الأحيان و قدّموا أنفسهم و أرواحهم أضاحى من أجل الدين، فللتقيه مواضع معينه، كما أنّ للقسم المحرم منها مواضع خاصه أيضاً.

إنّ التقيه فى جوهرها كتم ما يحذر من إظهاره حتى يزول الخطر، فهى أفضل السبل للخلاص من البطش، و لكن ذلك لا يعنى أنّ الشيعى جبان خائر العزيمه، خائف متردّد الخطوات يملأ حناياه الذل، كلّا إنّ للتقيه حدوداً لا تتعداها، فكما هى واجبه فى حين، هى حرام فى حين آخر، فالتقيه أمام الحاكم الجائر كيزيد بن معاويه مثلاً محرّمه، إذ فيها الذل و الهوان و نسيان المُثُل و الرجوع إلى الوراء، فليست التقيه فى جوازها و منعها تابعه للقوّه و الضعف، و إنّما تحددها جوازاً و منعاً مصالح الإسلام و المسلمين.

إنّ للإمام الخمينى (قدس سره) كلاماً فى المقام ننقله بنصّه حتى يقف القارئ على أنّ للتقيه أحكاماً خاصه و ربّما تحرم لمصالح عاليه. قال (قدس سره):

تحرم التقيه فى بعض المحرّمات و الواجبات التى تمثّل

فی نظر الشارع و المتشرّعه مکانه بالغه، مثل هدم الکعبه، و المشاهد المشرّفه، و الرد علی الإسلام و القرآن و التفسیر بما یفسد المذهب و یطابق الإلحاد و غیرها من عظائم المحرّمات، و لا تعمّها أدله التقیه و لا الاضطرار و لا الإکراه.

و تدلّ علی ذلک معتبره مسعده بن صدقه و فیها: «فکلّ شیء یعمل المؤمن بینهم لمکان التقیه ممّا لا یؤدی إلی الفساد فی الدین فإنّه جائز».(۱)

و من هذا الباب ما إذا کان المتقی ممن له شأن و أهمیه فی نظر الخلق، بحیث یکون ارتکابه لبعض المحرّمات تقیه أو ترکه لبعض الواجبات کذلک مما یعد موهناً للمذهب و هاتکاً لحرمه، کما لو أُکره علی شرب المسکر و الزنا مثلاً، فإنّ جواز التقیه فی مثله متمسّکاً بحکومه دلیل الرفع(۲) و أدلّه التقیه مشکل بل ممنوع، و أولی من ذلک کلّه فی عدم جواز التقیه، ما لو کان أصل من أُصول الإسلام أو المذهب أو ضروری من۱.

۱- . الوسائل: ۱۰، الباب ۲۵ من أبواب الأمر و النهی، الحدیث ۸.

۲- . الوسائل: ۱۰، الباب ۵۶ من أبواب جهاد النفس، الحدیث ۱.

ضروريات الدين فى معرض الزوال و الهدم و التغيير، كما لو أراد المنحرفون الطغاه تغيير أحكام الإرث و الطلاق و الصلاه و الحج و غيرها من أُصول الأحكام فضلاً عن أُصول الدين أو المذهب، فإنّ التقيه فى مثلها غير جائزه، ضروره أنّ تشريعها لبقاء المذهب و حفظ الأُصول و جمع شتات المسلمين لإقامه الدين و أُصوله، فإذا بلغ الأمر إلى هدمها فلا تجوز التقيه، و هو مع وضوحه يظهر من الموثقه المتقدمه.(۱)

و على ضوء ما تقدّم، نخرج بالنتائج التاليه:

۱. إنّ التقيه أصل قرآنى مدعم بالسنّه النبويه، و قد عمل بها فى عصر الرساله من ابتلى من الصحابه، لصيانه نفسه، فلم يعارضه الرسول، بل أيّده بالنص القرآنى كما فى قضيه عمّار بن ياسر، حيث أمره (صلى الله عليه و آله و سلم) بالعوده إذا عادوا.

۲. انّ التقيّه ليست بمعنى تشكيل جماعات سريه لغايه التخريب و الهدم، و هذا لا يمت إلى التقيه بصله.ه.

۱- . رساله فى التقيه مطبوعه ضمن الرسائل العشر: ۱۴، باب حول موارد استثنيت من الأدلّه.

۳. اتّفق المفسّرون عند التعرّض لتفسير الآيات الوارده فی التقيه علی ما ذهبت إليه الشيعه من إباحتها للتقيه.

۴. تنقسم التقيه حسب انقسام الأحكام إلی أقسام خمسه، فبينما هی واجبه فی موضع، تجدها محرّمه فی موضع آخر.

۵. إنّ مجال التقيه لا يتجاوز القضايا الشخصيه، و هی فيما إذا كان الخوف قائماً، و أمّا إذا ارتفع الخوف و الضغط، فلا مجال للتقيه.

و فی ختام هذا البحث نقول:

نفترض أنّ التقيه جريمه يرتكبها المتقی لصيانه دمه و عرضه و ماله، و لكنّها فی الحقيقه ترجع إلی السبب الذی يفرض التقيّه علی الشيعی المسلم و يدفعه إلی أن يتظاهر بشیء من القول و الفعل الذی لا يعتقد به، فعلی من يعيب التقيه للمسلم المضطهد، أن يسمح له بالحريه فی مجال الحياه و يتركه بحاله، و أقصی ما يصح فی منطق العقل، أن يسأله عن دليل عقيدته و مصدر عمله، فإن كان علی حجّه بيّنه

يتبعه، و إن كان على خلافها يعذره فى اجتهاده و جهاده العلمى و الفكرى.

نحن ندعو المسلمين للتأمّل فى الدواعى التى دفعت بالشيعه إلى التقيه، و أن يعملوا قدر الإمكان على فسح المجال لإخوانهم فى الدين فإنّ لكل فقيه مسلم، رأيَه و نظرَه، و جهدَه و طاقتَه.

إنّ الشيعه يقتفون أثر أئمّه أهل البيت فى العقيده و الشريعه، و يرون رأيهم، لأنّهم هم الذين أذهب اللّه عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً، و أحد الثقلين اللّذين أمر الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) بالتمسّك بهما فى مجالى العقيده و الشريعه، و هذه عقائدهم لا تخفى على أحد، و هى حجّه على الجميع.

نسأل اللّه سبحانه، أن يصون دماء المسلمين و أعراضهم عن تعرض أى متعرض، و يوحّد صفوفهم، و يؤلّف بين قلوبهم، و يجمع شملهم، و يجعلهم صفّاً واحداً فى وجه الأعداء، إنّه على ذلك قدير و بالإجابه جدير.

۹ شبهات حول التقيه

لقـد تعرفت على حقيقه التقيه: لغه و اصـطلاحاً و تاريخـاً، كما تعرفت على أدلّتها من الكتاب و السـنّه و ظهر انّ سـيره المسـلمين جرت على ممارسه التقيه عند الشده، و بقيت ثَمّه شبهات تدور حول التقيه، نطرحها على طاوله البحث.

الشبهه الأُولى: التقيه من شعب النفاق

إذا كانت التقيه إظهارَ ما يُضـمر القلبُ خلافَه أو ارتكاب عمل يخالف العقيده، فهى إذن شـعبه من شعب النفاق، لأجل انّ النفاق عباره عن التظاهر بشىء على خلاف العقيده.

و الجواب عنها واضح: لأنّ مفهوم التقيه فى الكتاب

و السنّه هو إظهار الكفر و إبطان الايمان، أو التظاهر بالباطل و إخفاء الحق، و إذا كان هذا مفهومها، فهى تقابل النفاق، تقابلَ الإيمان و الكفر، فانّ النفاق ضدها و خلافها، فهو عباره عن إظهار الإيمان و إبطان الكفر، و التظاهر بالحق و إخفاء الباطل، و مع وجود هذا التباين بينهما فلا يصحّ عدّها من فروع النفاق.

و بعباره أُخرى: انّ النفاق فى الدين ستر الكفر بالقلب، و إظهار الإيمان باللسان، و أين هذا من التقيه التى هى على العكس تماماً (إِلاّ ـ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ) فهى إظهار الكفر و إخفاء الإيمان و ستره بالقلب، و أمّا تقيه الشيعه فهى تَكْمُنُ فى إخفاء الاعتقاد بالإمامه و الولايه لأهل البيت (عليهم السلام) يعنى ستر التشيع مع التظاهر بموافقه الآخرين فى عقيدتهم تجاه الإمامه و فى الوقت نفسه يشاركون المسلمين فى الشهادتين و الإيمان بالقيامه، و يمارسون العبادات و يعملون بالفروع و يعتقدون ذلك بقلوبهم و يعيشون هذه العقيده بوجدانهم و بأرواحهم .

ص: ۷۴

نعم من فسر النفاق بمطلق مخالفه الظاهر للباطن و به صوّر التقيه الوارده فی الکتاب و السنّه من فروعه، فقد فسره بمفهوم أوسع ممّا هو علیه فی القرآن، فانّه یعرف المنافقین بالمتظاهرین بالإیمان و المبطنین للکفر بقوله تعالی: (إِذا جاءَکَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اللّهِ وَ اللّهُ یَعْلَمُ إِنَّکَ لَرَسُولُهُ وَ اللّهُ یَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِینَ لَکاذِبُونَ) (۱) فإذا کان هذا حدّ المنافق فکیف یعمّ من یستعمل التقیه تجاه الکفار و العصاه فیُخفی إیمانه أو عقیدته فی ولاء أهل البیت و یظهر الموافقه لغایه صیانه النفس و النفیس و العرض و المال من التعرض؟! و یظهر صدق ذلک إذا وقفنا علی ورودها فی التشریع الإسلامی، و لو کانت من قسم النفاق، لکان ذلک أمراً بالقبیح و یستحیل علی الحکیم أن یأمر به (قُلْ إِنَّ اللّهَ لا یَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَی اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ).(۲)۸.

۱- . المنافقون: ۱.

۲- . الأعراف: ۲۸.

الشبهه الثانيه: لما ذا عُدَّت التقيه من أَصول الدين؟

قد نقل عن أئمّه أهل البيت (عليهم السلام) انّهم قالوا: التقيه دينى و دين آبائى، و لا دين لمن لا تقيه له.(۱)

و ظاهر هـذه الروايات انّ الاعتقاد بالتقيه و تطبيق العمل على ضوئها من أُصول الـدين فمن لم يتق فقد خرج عن الدين و ليس له من الإيمان نصيب.

يلاحـظ عليه: بـأنّ التقيه من الموضوعـات الفقهيه، تخضع كسـائر الموضوعـات للأحكـام الخمسه، فتـاره تجب و أُخرى تحرم، و ثالثه...، و معه كيف يمكن أن تكون من أُصول الدين، و قد ذكرها فقهاء الشيعه فى باب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.

و أمّا الروايات التى عـدتها من الـدين فهى من باب الاسـتعاره و غايتها التأكيـد على أهميتها و تطبيقها فى الحياه لصـيانه النفس و النفيس، و بما انّ بعض الشيعه كانوا يجاهرون۲.

۱- . الوسائل: ۱۰، الباب ۲۴ من أبواب الأمر بالمعروف، الحديث ۳، ۲۲.

بعقائـدهم و شـعائرهم، الأمر الـذى يؤدّى إلى إلقاء القبض عليهم و تعـذيبهم و إراقه دمائهم، فالإمام و للحيلوله دون وقوع ذلك يقول بـأنّ (التقيه دينى و دين آبـائى) لحثّهم على الاقتـداء بهم، و أمّـا ما ورد فى الحـديث «لا دين لمن لا تقيّه له» فالغايه التأكيد على الالتزام بالتقيّه، نظير قوله: لا صلاه لجار المسجد إلّا فى المسجد.

و بعباره أُخرى: ليس المراد من الـدين هو الأُصول العامه كالتوحيـد و النبوه و المعاد التى بالاعتقاد بها يرد إلى حظيره الإسـلام و بإنكارها أو إنكار واحـد منها أو إنكار ما يلازم إنكار أحـد الأُصول الثلاثه يخرج عنها، و إنّما المراد به هو الشأن الـذى يتعبد به الإمـام و يعمـل بـدين اللّه، فقوله: «التقيه دينى و دين آبـائى» أى هو من شـئوننا أهل البيت (عليهم السـلام) فاقتـدوا بنا، و أمّا من يتصور انّ التقيه تمس كرامته فهو إنسان جاهل خارج عن هذا الشأن الذى عليه تدين الأئمه به.

الشبهه الثالثه: التقيه تؤدى إلى محق الدين

إذا مارست جماعهٌ التقيه فتره طويله فى أُصول الدين

و فروعه، ربما يتجلى للجيل المقبل بأنّ ما مارسه آباؤهم من صميم الدين و واقعه، فعند ذلك تنتهى التقيه إلى محق الدين و اندثاره.

يلاحظ عليه: أنّ الظروف مختلفه و ليست على منوال واحد، فربما يشتد الضغط فلا يجد المحقّ مجالاً للإعراب عن رأيه و عقيدته و شريعته، و قد تتبدّل الظروف إلى ظروف مناسبه تسمح بممارسه الشعائر بكلّ حريه، و قد عاشت الشيعه بين الحين و الآخر فى هذه الظروف المختلفه، و بذلك صانت أُصولها و فروعها و ثقافتها و اللّه سبحانه هو المعين لحفظ الدين و شريعته.

و بعباره أُخرى: انّ للتقيه سيطره على الظاهر دون الباطن، فالأقلّيه التى صودرت حرياتها يمارسونها فى الظاهر، و أمّا فى المجالس الخاصه فيقومون بواجبهم على ما هو عليه و يربّون أولادهم على وفق التعاليم التى ورثوها عن آبائهم عن أئمتهم.

و لو افترضنا انّ مراعاه التقيه فتره طويله تنتهى إلى محق

الـدين فـالتقيه عندئـذ تكون محرمه يجب الاجتنـاب عنهـا. و قـد مرّ انّ التقيه لهـا أحكام خمسه، فالتقيه المنتهيه إلى محق الـدين محظوره.

الشبهه الرابعه: التقيه تؤدى إلى تعطيل الأمر بالمعروف

إنّ التقيه فكره تحوّل المسـلم إلى إنسـان يتعـايش مع الأمر الواقع على ما فيه من ظلم و فساد و انحراف، فتعود إلى الرضا بكلّ ما يحيط بها من الظلم و الفساد و الانحراف.

يلاحظ عليه: أنّ الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر مشـروط بالتمكن منه، فمرتبه منه وظيفه الفرد و هو الأمر بالمعروف بكراهيه القلب و اللسان، و مرتبه منه وظيفه المجتمع و على رأسه الـدوله صاحبه القدره و المنعه، فالممارس للتقيه يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر حسب مقدرته و لو لا القدره فلا حكم عليه، لأنّ اللّه سبحانه لا يكلف نفساً إلاّ وسعها.

و مع ذلك فالممارس للتقيه يتحيّن الفرص للانقضاض

على الواقع الفاسد و تغييره، فلو ساعدته الظروف على هذا التغيير فحينها يتخلّى عن التقيه و يجاهر بالحقّ قولاً و عملاً.

الشبهه الخامسه: التقيه من المسلم من البدع

ربما يتصور انّ التقيه من اختلاقات الشيعه و انّها لا دليل عليها من الكتاب و السنّه، و ذلك لأنّ الآيات الوارده فى التقيه ترجع إلى اتّقاء المسلم من الكافر، و أمّا اتّقاء المسلم من المسلم فهذا ما لا دليل عليه من الكتاب و السنه.

الجواب

إنّ مورد الآيات و إن كان هو اتّقاء المسلم من الكافر، و لكن المورد ليس بمخصّص لحكم الآيه فقط، إذ ليس الغرض من تشريع التقيه عند الابتلاء بالكفار إلّا صيانه النفس و النفيس من الشر، فإذا ابتُلى المسلم بأخيه المسلم الذى يخالفه فى بعض الفروع و لا يتردد الطرف القوى عن إيذاء الطرف الآخر، كأن ينكل به أو ينهب أمواله أو يقتله،

ففی تلک الظروف الحرجه یحکم العقل السلیم بصیانه النفس و النفیس عن طریق کتمان العقیده و استعمال التقیه، و لو کان هناک وزر فإنّما یحمله من یُتّقی منه لا المتّقی. و نحن نعتقد أنّه إذا سادت الحریه جمیع الفرق الإسلامیه، و تحمّلت کل فرقه آراء الفرقه الأُخری لوقفت علی أنّ الرأی الآخر هو نتیجه اجتهادها، و عندها لا یضطر أحد من المسلمین إلی استخدام التقیه، و لساد الوئام مکان النزاع.

و قد فهم ذلک لفیف من العلماء و صرّحوا به، و إلیک نصوص بعضهم:

۱. قال الشافعی: تجوز التقیه بین المسلمین کما تجوز بین الکافرین محاماه عن النفس.(۱)

۲. یقول الإمام الرازی فی تفسیر قوله سبحانه: (إِلاّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً): ظاهر الآیه یدل علی أنّ التقیه إنّما تحل مع الکفّار الغالبین، إلاّ أنّ مذهب الشافعی) (رضی الله عنه): أنّ الحاله بین المسلمین إذا شاکلت الحاله بین المسلمین۸.

۱- . تفسیر النیسابوری فی هامش تفسیر الطبری: ۳/۱۷۸.

و الکافرین حلّت التقیه محاماه عن النفس، و قال: التقیه جائزه لصون النفس، و هل هی جائزه لصون المال؟ یحتمل أن یحکم فیها بالجواز لقوله (صلی الله علیه و آله و سلم): «حرمه مال المسلم کحرمه دمه»، و قوله (صلی الله علیه و آله و سلم): «من قتل دون ماله فهو شهید».(۱)

۳. ینقل جمال الدین القاسمی عن الإمام مرتضی الیمانی فی کتابه «إیثار الحق علی الخلق» ما نصّه:

و زاد الحق غموضاً و خفاءً أمران: أحدهما: خوف العارفین مع قلّتهم من علماء السوء و سلاطین الجور و شیاطین الخلق مع جواز التقیه عند ذلک بنص القرآن، و إجماع أهل الإسلام، و ما زال الخوف مانعاً من إظهار الحق، و لا برح المحق عدوّاً لأکثر الخلق، و قد صحّ عن أبی هریره) (رضی الله عنه) أنّه قال فی ذلک العصر الأوّل: حفظت من رسول اللّه (صلی الله علیه و آله و سلم) وعاءین، أمّا أحدهما فبثثته فی الناس، و أمّا الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم.(۲)۲.

۱- . مفاتیح الغیب: ۸/۱۳ فی تفسیر الآیه.

۲- . محاسن التأویل: ۴/۸۲.

۴. و قال المراغی فی تفسیر قوله سبحانه: (مَنْ کَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِیمانِهِ إِلاّ مَنْ أُکْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِیمانِ): و یدخل فی التقیه مداراه الکفره و الظلمه و الفسقه، و إلا نه الکلام لهم، و التبسّم فی وجوههم، و بذل المال لهم، لکف أذاهم و صیانه العرض منهم، و لا یعد هذا من الموالاه المنهی عنها، بل هو مشروع، فقد أخرج الطبرانی قوله (صلی الله علیه و آله و سلم): «ما وَقَی المؤمن به عرضَه فهو صدقه».(۱)

إنّ الشیعه تتقی الکفّار فی ظروف خاصه لنفس الغایه التی لأجلها یتّقیهم السنّی، غیر أنّ الشیعی و لأسباب لا تخفی، یلجأ إلی اتّقاء أخیه المسلم لا لتقصیر فی الشیعی، بل فی أخیه الذی دفعه إلی ذلک، لأنّه یدرک أنّ الفتک و القتل مصیره إذا صرّح بمعتقده الذی هو عنده موافق لأُصول الشرع الإسلامی و عقائده، نعم کان الشیعی و إلی وقت قریب یتحاشی أن یقول: إنّ اللّه لیس له جهه، أو أنّه تعالی لا یُری یوم القیامه، و إنّ المرجعیه العلمیه و السیاسیه لأهل البیت بعد۶.

۱- . تفسیر المراغی: ۳/۱۳۶.

رحله النبی الأکرم، أو أنّ حکم المتعه غیر منسوخ. إنّ الشیعی إذا صرّح بهذه الحقائق التی استنبطت من الکتاب و السنّه سوف یُعرّض نفسه و نفیسه للمهالک و المخاطر. و قد مرّ علیک کلام الرازی و جمال الدین القاسمی و المراغی الصریح فی جواز هذا النوع من التقیه، فتخصیص التقیه بالتقیه من الکافر فحسب، جمود علی ظاهر الآیه وسد لباب الفهم، و رفض للملاک الذی شُرّعت لأجله التقیه، و إعدام لحکم العقل القاضی بحفظ الأهم إذا عارض المهم.

و قد مرّ الکلام عن لجوء جمله من کبار المحدّثین إلی التقیه فی ظروف عصیبه أوشکت أن تؤدی بحیاتهم و بما یملکون، و خیر مثال علی ذلک ما أورده الطبری فی تاریخه(۱) عن محاوله المأمون دفع وجوه القضاه و المحدّثین فی زمانه إلی الإقرار بخلق القرآن قسراً و قد علموا انّ إنکاره یستعقب قتل الجمیع دون رحمه، و لما أبصر أُولئک المحدّثون لَمَعان، حد السیف عمدوا إلی مصانعه المأمون فی دعواه و أسرّوا معتقدهم۵.

۱- . تاریخ الطبری: ۲۰۶۷/۱۹۵.

فی صدورهم، و لمّا عُوتبوا علی ما ذهبوا إلیه من موافقه المأمون برّروا عملهم بعمل عمّار بن یاسر حین أکره علی الشرک و قلبه مطمئن بالإیمان، و القصّه شهیره و صریحه فی جواز اللجوء إلی التقیه التی دأب البعض بالتشنیع فیها علی الشیعه و کأنّهم هم الذین ابتدعوها من بنات أفکارهم دون أن تکون لها قواعد و أُصول إسلامیه ثابته و معلومه.

ص: ۸۵

١٠ الآثار البنّاءه للتقيه

إذا ساد الاستبداد المجتمع الإنسانى و صودرت فيه الحريات و هُضمت فيه الحقوق و أُخمدت فيه أصوات الأحرار، فحينئذ لا تجد الأقليه المهضومه، حيله سوى اللجوء إلى التقيه و التعايش مع الأمر الواقع، و هذا الأمر و ان يتلقّاه البعض أمراً مرغوباً عنه، و لكن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كما سيوافيك كلامه يصفه بأنّه رخصه من اللّه تفضّل اللّه بها على المؤمنين. كيف و قد يترتّب على ممارسه التقيه آثار بنّاءه تتلخّص فى الأُمور التاليه:

١. حفظ النفس و النفيس

إنّ ممارسه التقيه و المداراه مع الظالم المستبد يصون

الأقليه من البطش و الكبت و القتل و مصادره الأموال بخلاف عدم ممارستها فانّه يعرِّضها للقتل و الفناء، و لذلك يعبر عنها بالترس و الجُنّه، قال الإمام الصادق (عليه السلام): «إنّ التقيه ترس المؤمن، و لا إيمان لمن لا تقيه له».(۱)

و قال (عليه السلام): «كان أبى يقول: و أى شيء أقرّ لعينى من التقيه، انّ التقيه جُنّه المؤمن».(۲)

روى شيخنا المفيد قال: كتب على بن يقطين (الوزير الشيعى للرشيد) إلى الإمام الكاظم (عليه السلام) يسأله عن الوضوء؟ فكتب إليه أبو الحسن (عليه السلام): «فهمت ما ذكرت من الاختلاف فى الوضوء، و الذى آمرك به فى ذلك أن تمضمض ثلاثاً، و تستنشق ثلاثاً، و تغسل وجهك ثلاثاً، و تخلّل شعر لحيتك، و تغسل يديك من أصابعك إلى المرفقين ثلاثاً، و تمسح رأسك كلّه، و تمسح ظاهر أُذنيك و باطنهما، و تغسل رجليك إلى الكعبين ثلاثاً، و لا تخالف ذلك إلى غيره.

فلمّا وصل الكتاب إلى على بن يقطين تعجب مما رسم۶.

۱- . الوسائل: ۱۱، الباب ۲۴ من أبواب الأمر بالمعروف، الحديث ۴ و ۶.

۲- . الوسائل: ۱۱، الباب ۲۴ من أبواب الأمر بالمعروف، الحديث ۴ و ۶.

له أبو الحسن (علیه السلام) فیه ممّا أجمع العصابه علی خلافه، ثمّ قال: مولای أعلم بما قال: و أنا أمتثل أمره، فکان یعمل فی وضوئه علی هذا الحد، و یخالف ما علیه جمیع الشیعه امتثالاً لأمر أبی الحسن (علیه السلام) ، و سُعِیَ بعلی بن یقطین إلی الرشید، و قیل: إنّه رافضی، فامتحنه الرشید من حیث لا یشعر، فلمّا نظر إلی وضوئه ناداه: کذب یا علی بن یقطین من زعم أنّک من الرافضه، و صلحت حاله عنده، و ورد علیه کتاب أبی الحسن (علیه السلام): «ابتدأ من الآن یا علی بن یقطین و توضّأ کما أمرک اللّه تعالی، اغسل وجهک مره فریضه و أُخری إسباغاً و اغسل یدیک من المرفقین کذلک، و امسح بمقدم رأسک و ظاهر قدمیک من فضل نداوه وضوئک، فقد زال ما کنّا نخاف منه علیک، و السلام».(۱)

تری أنّ الإمام أنقذ علی بن یقطین من الموت من خلال أمره بالتقیه و کم له فی التاریخ من نظیر، و کفی شاهداً قصه عمّار و أبیه و أُمّه المتقدّمه.۳.

۱- . الوسائل: ۱، الباب ۳۲ من أبواب الوضوء، الحدیث ۳.

۲. حفظ وحده الأمّه

لا ـ شكّ انّ وحده الكلمه هى مصدر قوه الأُمّه و ازدهارها، و هى حبل اللّه الوثيق الذى لا بدّ من الاعتصام به، حيث قال فى محكم كتابه: (وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا).(۱)

فقد عدّ سبحانه التفريق و التشرذم و التشتت عذاباً يستأصل الأُمّه و يستنفد قواها، قال سبحانه: (قُلْ هُوَ الْقادِرُ عَلى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَ يُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ).(۲)

إلى غير ذلك من الآيات الحاثّه على الوحده و المحذِّره من التفرق و التبدد.

و تشريع التقيه يعين على الوحده و يمسك الأُمه عن التبدد، فلذلك يصفها الإمام بأنّها «رخصه تفضّل بها اللّه على المؤمنين رحمه لهم».۵.

۱- . آل عمران: ۱۰۳.

۲- . الأنعام: ۶۵.

و هـذا لا يعنى الإفراط فى ممارسه التقيه حتّى إذا توفرت الفرص المناسبه للتعبير عن رأيه و منهجه، فعند ذلك تحرم التقيه، لأنّه يترتب عليها طمس الدين و كتمان الحقيقه.

۳. الحفاظ على القوى من الاستنزاف

إنّ الجماعه المهضومه، بممارسه التقيه تحمى قواها و طاقاتها من الاستنزاف، و بالتالى تربّى جماعه واعيه لأهدافها، فإذا هبّ على مجتمعها نسيم الحريه فيتيسّر عندها أن تُجاهر بأفكارها و آرائها دون أى خوف أو وجل و تطالب بحقوقها، و هذا من آثار التقيه حيث صانت الجماعه الضعيفه من استنزاف قواها.

و بما انّ هذه الآثار البنّاءه تعبير واضح للرحمه، التى أشار إليها الإمام أمير المؤمنين، نأتى بنص كلمته:

روى الشريف المرتضى فى رساله «المحكم و المتشابه» نقلاً عن «تفسير النعمانى» عن على (عليه السلام) أنّه قال: «و انّ اللّه منّ على المؤمن بإطلاق الرخصه له عند التقيه فى الظاهر، أن

یصوم بصیامه و یفطر بإفطاره و یصلّی بصلاته و یعمل بعمله و یظهر له استعمال ذلک، موسعاً علیه فیه، و علیه أن یدین اللّه تعالی فی الباطن بخلاف ما یظهر لمن یخافه من المخالفین المستولین علی الأُمّه، فهذه رخصه تفضّل اللّه بها علی المؤمنین رحمه لهم لیستعملوها عند التقیه فی الظاهر».(۱)

و الحمد للّه الذی بنعمته تتم الصالحات۱.

۱- . الوسائل: ۱، الباب ۲۵ من أبواب مقدمه العبادات، الحدیث ۱.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹